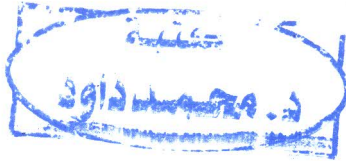


البقاع الشريفة

بمكة والمدينة

دكتور
محمد محمد داود



البقاع الشريفة

بمكة والمدينة

الناشر:

دار الأمل

العنوان:

٨ شارع عبد العزيز حامد - أول فيصل - جيزه

تليفون:

٧٨٠٩٧٦٧-٥٨٦٠٨٩٢

رقم الايداع:

٢٠٠٥ / ٩٧٤٢

الترقيم الدولى

977-343-052-9

كمبيوتر:

آرمس

تليفون:

٧٩٦٤٤٠٤

الطبعة الأولى:

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

البقاع الشريفة

بمكة والمدينة

د. محمد محمد داود

الناشر

دار الأمل

للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا فِي وُجُوهِهِمْ مَنْ
أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (الفتح).

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الله ورسوله سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وبعد:

فإن البقاع الشريفة بمكة والمدينة قد شهدت أعظم الطاعات لله رب العالمين، وارتبطت بمواقف خالدة في تاريخ الدعوة وإقامة دين الله تعالى والجهاد في سبيله. وحسب هذه الأماكن فضلاً وشرفاً ما ورد مدحاً لها، وذكرًا كريماً في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ولقد حث رسول الله سيدنا محمد ﷺ على زيارة هذه البقاع الشريفة؛ لتظل الموعظة للمؤمنين بهذه الأماكن حيةً ينتفع بها المؤمنون إلى يوم القيامة.

ولقد لمسْتُ عن قربٍ شوقَ وفود الحجاج والمعتمرين وتطلعهم إلى معرفة الحقائق الإيمانية والدروس والعبر التي

تفيض بها هذه الأماكن الشريفة المباركة؛ فأدركت أن المسئولية تقع على عبء الدعاة والعلماء الذين يصحبون تلك الوفود من الحجاج والعمّار، وقد يكون لسادتنا العلماء عذر في ضيق الوقت المتاح هناك، فلا يتسع لبيان بركة هذه الأماكن الشريفة والمواظظ والدروس التي بها، وذلك لشغلهم ببيان مناسك الحج ومناسك العمرة.

ولا يخفى على بصير فاهم أن الوقت اليسير الذي نقضيه عند كل مكان من هذه الأماكن في صحبة الوفود لا يكفي لبيان المطلوب، ونكتفى ببيان مختصر مركّز أشبه بالعناوين الأساسية والعناصر الهامة لموضوع الحديث.

وبتوفيق من الله تعالى نشطت همتي لإعداد هذه الخلاصة الميسرة، لتكون دليلاً واضحاً وبيّناً شافياً لبركة وفضل هذه الأماكن الشريفة بمكة والمدينة، زادهما الله إجلالاً وتشريفاً، ومن مقاصد هذه الخلاصة أيضاً الوقوف بالموءمن على الدروس والعبر التي ارتبطت بهذه البقاع.

وما من شك في أن فقه المكان - إن جاز هذا التعبير - يسهم
في تنمية فضيلتين عند المؤمن:
الأولى: زيادة الإيمان بالله تعالى وصدق الحب لرسول
الله ﷺ ولصحابته الكرام ﷺ.
الثانية: رفع همّة المؤمن في التأسي بسيدنا النبي ﷺ وبصحابته
الكرام في إقامة دين الله تعالى.
وبذلك يُحصّل المؤمن فضل الزيارة وبركتها.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

راجى عفو ربه

د/ محمد محمد داود

Email: dr.mohameddawood@yahoo.com

^

إيمانيات فى رحاب البقاع الشريفة

• البقاع الشريفة بمكة والمدينة لها تاريخ حافل فى الدعوة إلى الله تعالى، منذ لحظة الميلاد الأولى لخلافة الإنسان فى هذه الأرض، بنزول سيدنا آدم عليه السلام وبداية رحلة الإنسان على هذه الأرض.

• وسيظهر لك واضحاً - أيها المؤمن - أن الله استبقى آيات ظاهرة فى هذه الأماكن؛ لتكون دليلاً على المواقف الإيمانية التى حدثت عليها؛ كي تُذكّرنا بهذه المواقف؛ وكى تظل العظة والعبرة فيها حيّة دائمة على مر الزمان يعتبر بها المؤمنون وتزيدهم إيماناً مع إيمانهم.

• وسيظهر لك واضحاً أن تعظيم الأمور على حقيقتها، إنما يكون بما عظمها الله به، من نزول الرحمات والبركات والمغفرة وواسع الفضل من الله تعالى على هذه البقاع، وإلا فالأماكن كلها لله تعالى.

• وسيظهر لك واضحًا - أيها المؤمن - أن البركات والرحمات التي ارتبطت بهذه الأماكن تتوقف الإفادة منها على سلوك الإنسان وفعله، فهي للمؤمنين شفاء ورحمة ومغفرة، ولا تزيد المنكرين الجاحدين إلا خسارًا.

وهذا يعنى أن الأرض لا تقدّس أحدًا، إنما يقدس الإنسان عمله، ويؤكد هذا المعنى أن أبا الدرداء أقام في بيت المقدس وسرّه ذلك، فكتب إلى سلمان الفارسي يقول له: «هلمّ إلى الأرض المقدسة»، فكتب إليه سلمان يقول: «إن الأرض لا تقدس أحدًا، إنما يقدس الإنسان عمله».

• ولعل هذا يصحح مفهومًا مغلوطنًا عند كثير من الناس الذين يقيمون على المعاصي، ثم يذهبون إلى هذه البقاع الشريفة دون توبة صادقة، أو هؤلاء الذين يتخذون من الحج والعمرة ستارًا على مخالفاتهم المتعددة... ونحو ذلك من صور المفاهيم المغلوطة والوعى المفقود لدى الأمة.

• وسيظهر لك واضحًا - أيها المؤمن - أن العظة والعبرة

التي ارتبطت بالمواقف الإيمانية لسادتنا الأنبياء في هذه البقاع ليست وقفاً على الحجاج والمعتمرين والزوار فقط، بل هي عامة لكل مسلم يرجو الله تعالى واليوم الآخر، كيف لا وقد خلد الله ذكر كثير من هذه المواقف في آيات القرآن الكريم، لتتفع به الأمة عامة؟!!

• وسيظهر لك واضحاً - أيها المؤمن - أن ما تم بهذه البقاع الشريفة من مواقف إيمانية، دعوة صريحة للأمة إلى إحياء قيم مفقودة في حياتنا المعاصرة؛ من أهمها:

- التضحية والفداء في سبيل إقامة دين الله تعالى في نفوسنا وأولادنا ومجتمعنا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة).

- تعظيم أوامر الله ﷻ، فمن عظم أمر الله عظم الله شأنه ورفع منزلته، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعِيرَ

اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ (الحج).

- تقديم أوامر الله على حظ النفس، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة: ٢٤).

- الإخلاص لله تعالى والصدق معه فَمَنْ صَدَقَ اللَّهُ يَصْدُقْهُ،
وسبحان الله القائل: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة).

- حسن الأخذ بالأسباب، فكما أمرنا الله أن نؤمن بالغيب؛
فقد كلفنا بالأخذ بالأسباب، فالجوارح تعمل والقلوب تتوكل،
وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾
(الطلاق: ٣).

- قيمة المواصلة دون إحباط أو يأس، ومن أحداث البقاع
الشريفة نتعلم الحكمة: واصل تصل.

إنها في مجملها صور إيمانية حية يهdy بها الله قلوب الذين
آمنوا به واتبعوا رسوله ﷺ.

فاللهم اجعلنا من خيرة أتباع المصطفى ﷺ.. واجعلنا من
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين.

فى

رحاب المدينة المنورة

المدينة المنورة

• المدينة مدخل صدق:

* عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة، ثم أمرنا بالهجرة، فنزلت ^(١) عليه: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾ (٨٠) (الإسراء).

• المدينة حرم رسول الله ﷺ:

* عن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم، فمن أحدث فيها حدثاً ^(٢) أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيام عدلٌ ولا صرفٌ» ^{(٣)(٤)}.

(١) مسند أحمد: ١ / ٢٣٣، سنن الترمذی: کتاب تفسیر القرآن، باب: من سورة بنی اسرائیل، رقم / ٢١٣٩، وانظر تفسیر ابن کثیر: ٣ / ٥٩.

(٢) الحدّث: کل ما خالف هدی الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. والمحدث: مرتکب الحدّث.

(٣) العدل: الفریضة. الصرف: النافلة.

(٤) صحیح مسلم، کتاب الحج، باب فضل المدينة رقم / ٤٦٩.

* عن جابر قال: قال النبي ﷺ: «إن إبراهيم حَرَّمَ مكة، وإنى حرمت المدينة ما بين لَابَتَيْهَا، لا يُقْطَع عِضَاهُهَا، ولا يُصَاد صيدها»^(١).

العضاه: كل شجر عظيم فيه شوك، مفردها: عضاهة.
لَابَتَيْهَا: مثنى ومفردها: لابة، وهى الحرّة، أى الأرض الملبسة بحجارة سوداء، وللمدينة لَابَتَان: شرقية وغربية.

• البركة فى المدينة مضاعفة:

* عن عبد الله بن زيد المازنى رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة، ودعا لأهلها، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإنى دعوت فى صاعها ومُدّها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة»^(٢).

الصَّاع: الإناء المستخدم فى الكيل، ويُعبّر به عن المكيل، كقوله ﷺ: «صاع من شعير»، والصاع أربعة أمداد.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة. رقم / ٤٥٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم / ٤٥٤.

المُدُّ: مكيال قدره عند أهل الحجاز رطل وثلث، وعند أهل العراق رطلان. وقدَّره الشافعية والمالكية بنصف قدح. والمد ربع الصاع، وأصله في اللغة مقدَّر بأن يمدَّ الرجل يديه فيملاً كفيه طعاماً، ومنه في حديث فضل الصحابة رضي الله عنهم: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه» ^(١).

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة» ^(٢).

• فضل تمر المدينة:

* عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سمٌ حتى يمسي» ^(٣).

(١) الترمذى / حديث رقم ٣٨٦١.

(٢) صحيح البخارى: كتاب الحج، باب فضل المدينة، ٢ / ٢٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الأطعمة، باب فضل تمر المدينة ٢ / ٢١٩.

* وعنه أيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تصبَّح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحر»^(١).

• الإيمان يَأْرُزُ إلى المدينة:

* عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان لَيَأْرُزُ إلى المدينة كما تَأْرُزُ الحية إلى جحرها»^(٢).

يَأْرُزُ: أى يلوذ ويرجع وينضم.

وفى هذا دليل على بقاء الإيمان واستقراره فى المدينة وفى أهلها إن شاء الله تعالى.

• المدينة لا يدخلها الدجال:

* عن أنس بن مالك ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نَقَبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكة صافِّين تحرسها»^(٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب الأطعمة، باب فضل تمر المدينة ٢ / ٢١٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان: باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، رقم / ٢٣٢.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، رقم / ١٢٣.

الأنقاب: جمع نَقَب، وهو الطريق بين الجبلين، أو الفُرجة بين الجبلين، ومنه النقب في الجدار^(١)، ولعله يلحق بها الأنفاق التي تبنى تحت الأرض في وقتنا المعاصر.

• شفاعته ﷺ لمن يصبر على شدتها :

لقد حث رسول الله ﷺ على سكنى المدينة، وعلى المجاورة فيها، وقد يصاب ساكنها بضيق فيها في أمر من أمور الدنيا، فعلى المؤمن أن يصبر ويتصبر، ولا يترك المدينة طلباً لرخاء العيش، وإن من يخرج منها بهذه الحالة فَسَتُعَوِّضُ المدينة من هو خير منه.

أما الخروج من المدينة لنشر العلم أو للجهاد في سبيل الله تعالى، فهو أمر فعله الصحابة رضي الله عنهم، والجهاد في سبيل الله من أفضل القربات إلى الله تعالى؛ فليتنبه المؤمن إلى الفرق بين الحالين.

وقد وردت أحاديث نبوية في هذا الباب، منها:

(١) لسان العرب: مادة (ن ق ب).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة (أو شهيداً)» ^(١).

الأواء: الشدة وضيق المعيشة، وتُطلق أيضاً على: القحط.
* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:
«المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجَهِدَها إلا كنت له شفيعاً (أو شهيداً) يوم القيامة» ^(٢).
رغبةً عنها: كرهاً لها.

• أسماء المدينة:

أشار العلماء إلى أن في كثرة أسماء المدينة دلالة على مزيد فضلها وشرفها، ولقد كان يقال للمدينة قبل مجيء رسول

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، رقم / ٤٨١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم / ٤٥٩.

الله ﷺ إليها: يثرب، فلما أشرقت برسول الله ﷺ وجاء إليها
سمّاها:

١. المدينة، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم والحديث
النبوي الشريف عدة مرات.

٢. وطيبة، وطابة، وهما اسمان أطلقتهما عليها رسول الله ﷺ.

٣. ودار الهجرة، ودار الإيمان، ولعله مأخوذ من قوله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ (الحشر: ٩).

ونهى ﷺ عن تسميتها «يثرب»؛ حيث إن «يثرب» يعود في
اللغة إلى التشريب بمعنى اللوم والتوبيخ والإفساد والتخليط،
لذلك كرهه النبي ﷺ أن تُسمى المدينة يثرب.

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة بشأن تسمية المدينة المنورة،
منها:

* عن جابر بن سمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«إن الله تعالى سمى المدينة طابة»^(١).

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب المدينة تنفى شراها، رقم / ٤٩١.

وطابة، وطيبة: لها دلالات:

- ١ - تدل على الطَّيِّب وهو الرائحة الحسنة المستحبة.
- ٢ - تدل على الطَّيِّب، وهو الطاهر والحسن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (الحج: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر: ١٠).
- ٣ - تدل على طيبتها لساكنها وما ينعم به من بركات في رحابها.

* عن أبي هريرة قال رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «يقولون: يثرب، وهى المدينة»^(١).

وصار اسم المدينة علماً على البلدة المباركة دار هجرة رسول الله ﷺ، وجاء التصريح بهذا الاسم فى القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (المنافقون: ٨).

(١) جزء من حديث للإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفى شرارها، رقم / ٤٨٨.

• دعوة نبوية لزيارة بقاع المدينة المنورة:

من أهم البقاع الشريفة التي جاء في السنة أن النبي ﷺ حثَّ على زيارتها، وكان يزورها بنفسه؛ المسجد النبوي، ومسجد قباء، وشهداء أحد، وأهل البقيع.

أما زيارة البقاع الأخرى بقصد التعرف على تاريخ الدعوة وجهد النبي ﷺ ومعالم الإيمان فيها فلا بأس به فهو من الأمور المباحة ولكنه ليس من الزيارات المسنونة.

مساجد المدينة وما يتصل بها

١. المسجد النبوي الشريف:

مكان المسجد النبوي الشريف من اختيار الله تعالى؛ فقد كان النبي ﷺ راكباً راحلته، وكان الأنصار ﷺ كلما مر يقوم منهم دعوه ﷺ إلى النزول عندهم، فكان النبي ﷺ يقول لهم: «دعوها فإنها مأمورة»، حتى أناخت عند باب المسجد^(١).

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٧، طبقات ابن سعد: ١/ ٢٣٦، فتح الباري: ٧/ ٢٤٥.

• شراء النبي ﷺ أرض المسجد النبوى الشريف:

كانت الأرض التى أناخت فيها راحلة النبي ﷺ عند الهجرة موضعاً يجفف فيه التمر، وبعضه كان بستاناً، كما وردت نصوص الأحاديث النبوية بذلك.

وقد أرسل النبي ﷺ إلى ملاء من بنى النجار، وقال: «ثامنوني بحائطكم هذا». فقالوا: لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله^(١). وأرسل النبي ﷺ لسهيل وسهل الغلامين اليتيمين، أصحاب مريد التمر ليشتري منهما هذا المكان، فقال الغلامان: بل نهيه لك يا رسول الله، فأبى ﷺ حتى ابتاعه منهما^(٢)، وفى هذا رعاية من النبي ﷺ لحالهما.

• كيف بُنى المسجد النبوى الشريف؟

قام بناء المسجد النبوى الشريف على البساطة والبعد عن

(١) صحيح البخارى، كتاب المساجد، باب هل تُنبش قبور مشركى الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، رقم/٤٢٨.

(٢) صحيح البخارى، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ، رقم/٣٦٩٤.

التكلف، ولما طلب بعض أصحابه أن يبنوه على غرار أبنية الشام وما بها من زينة البناء، قال النبي ﷺ: «عريش كعريش موسى، والأمر أعجلُ من ذلك»^(١).

وبنى المسجد النبوي من اللَّبن، وكان سقفه من جريد النخل، وأعمدته من جذوع النخل وخشبه.

وفي هذا تأكيد من النبي ﷺ على أن الأولى في عمارة المساجد والذي ينبغي أن يكون في المقدمة، هو عمارتها بالذكر والطاعة والصلاة وإقامة دين الله ﷻ، لا أن يتباهى الناس داخل المساجد بألوان الزينة المختلفة ويهملوا الأساس في عمارتها من الذكر والطاعات.

ولا بُدَّ لأثرياء المسلمين من إعادة النظر في توجيه نفقتهم، فالأولى أن توجه النفقة إلى رعاية أطفال المسلمين ورعاية مرضاهم وأيتامهم ومحتاجيهم، وعلى الدعوة في سبيل الله تعالى، وعلى مجالس القرآن والعلم النافع، وعلى البحوث العلمية

(١) دلائل النبوة ٢ / ٥٤١، فضائل المدينة / ٣٥.

النافعة للعالم الإسلامي؛ وبهذا تتحقق للأمة خيريتها التي كرمها الله تعالى بها، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وهذه هي العمارة الحقيقية للمساجد، أما أن تبنى الصروح الضخمة، وتُفتح دقائق معدودة في أوقات الصلاة وتخلو من مجالس القرآن والعلم والأنشطة الإيمانية، فهذا تقصير في حق المساجد وسوء فهم لحقيقة عمارتها، والحمد لله، فقد بدأ عمران الإيمان ينشط مع عمران البنيان في كثير من المساجد، لكن بقية المساجد ما زالت تحتاج إلى همة العلماء والصالحين ليعود المسجد إلى سيرته الأولى في عهد النبي ﷺ، والله المستعان.

• قبلة المسجد النبوي الشريف:

كانت قبلة المسجد أولاً إلى بيت المقدس حوالي ستة عشر شهراً، ثم تحوّلت إلى الكعبة.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو

بيت المقدس، فنزلت الآية: ﴿قَدْ زَرَى تَقْلُبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ
فَلَنُؤَيِّسَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
(البقرة: ١٤٤).

• توسعة المسجد النبوي الشريف:

١ - توسعته في عهد رسول الله ﷺ:

بعد مرور أربع سنوات على الهجرة الشريفة، كثر عدد
المسلمين وضاق المسجد، فرغب النبي ﷺ في توسيعه بعد
رجوعه ﷺ من غزوة خيبر.

* عن مجمّع بن يزى رضي الله عنه، قال: بنى رسول الله ﷺ المسجد
مرتين، بناه حين قدم، أقل من مائة في مائة (أى مائة ذراع)، فلما
فتح الله عليه خيبر بناه، وزاد فيه مثله في الدور، وضرب
الحجرات ما بينه وبين القبلة^(١).

٢ - توسعة سيدنا عمر رضي الله عنه:

لم يزد سيدنا أبو بكر رضي الله عنه شيئاً في المسجد، واكتفى بتجديد

(١) الحجج المبينة / ٥٢.

بعض أساطينه التي نخرها الدود.

فلما تولى الخلافة سيدنا عمر رضي الله عنه دعت الحاجة إلى توسعة المسجد النبوي ليستوعب المسجد أعداد المسلمين التي زادت بالمدينة، فاشترى سيدنا عمر الدور التي حول المسجد، وأدخلها فيه، فزاد فيه من ناحية القبلة عشرة أذرع، ومن الجهة الغربية عشرين ذراعاً، ومن الجهة الشمالية ثلاثين ذراعاً. وكان بناء سيدنا عمر رضي الله عنه كبناء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من اللبن وجذوع النخل، والسقف من الجريد، وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة ^(١).

٣- توسعة سيدنا عثمان رضي الله عنه:

لما تولى سيدنا عثمان الخلافة زاد في المسجد من جهة القبلة رواقاً ومن جهة الغرب رواقاً، ومن جهة الشمال عشرة أذرع، ولم يزد فيه من ناحية الشرق شيئاً. واستخدم سيدنا عثمان في بنائه الحجارة المنقوشة، والحجارة المنقورة وقضبان الحديد

(١) فضائل سيدة البلدان / ٢٠.

والرصاص وسقف المسجد من الخشب، وانتهى العمل من هذه التوسعة في ٣٠ هـ^(١).

٤ - توسعة الوليد بن عبد الملك:

لم يزد الخلفاء في المسجد بعد عثمان رضي الله عنه حتى عهد الوليد بن عبد الملك، فكتب إلى واليه على المدينة، عمر بن عبد العزيز، يأمره بتوسعة المسجد وشراء ما حوله من الدور وضمها إليه. وكان ذلك في عام ٨٨ هـ وانتهت التوسعة عام ٩١ هـ.

وأهم ما يلفت الانتباه في هذه التوسعة هو إدخال حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد^(٢). وتوالت بعد ذلك توسعات المسجد حتى صار على الحالة العظيمة التي يظهر عليها اليوم صرحاً عظيماً يضم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها.

• انظر الرسم التوضيحي رقم (١) لتوسيعات المسجد النبوي بملحق الصور.

(١) السابق / ٢٢.

(٢) فضائل سيدة البلدان / ٢٤.



توسيعات المسجد النبوي

• أبواب المسجد النبوى الشريف:

كان للمسجد النبوى الشريف فى عهد النبى ﷺ نوعان من الأبواب:

النوع الأول: الأبواب العامة التى تُفتح على خارج المسجد، ويدخل منها الناس ويخرجون، وعددها فى أرجح الأقوال خمسة؛ هى:

- ١ - باب عاتكة؛ المعروف بباب الرحمة.
 - ٢ - باب النساء؛ وهو المقابل لباب الرحمة من جهة الشرق.
 - ٣ - باب آل عثمان؛ وهو المعروف بباب جبريل عليه السلام.
 - ٤ - باب دار القضاء؛ وهو المقابل للمنبر الشريف.
 - ٥ - باب النبى ﷺ، وهو المعروف بباب البقيع.
- وقد أضيفت أبواب كثيرة إلى الحرم النبوى بعد توسعته الحديثة.

النوع الثانى: الأبواب الخاصة؛ وهى التى تفتح على بيوت الصحابة المجاورين للمسجد النبوى.

وأمر النبي ﷺ في مرض موته بإغلاق جميع الفتحات الخاصة
(الخوخال) اللى كانل بين المسجل وبيول الصلابة ﷺ إلا
خوخة أبى بكر الصديق؁ وفي هذا إشارة إلى عظيم منزلته ورفعة
درجته عند الله ورسوله.

وقل وركل في ذلك ألالل نبوة شريفة في الصلحين؁
منها:

* عن أبى سعيد الللرى ﷺ قال: خطب النبي ﷺ فقال:
«إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده؁ فاخار ما عند الله»
فبكى أبو بكر ﷺ.

فقلت في نفسي: ما يبكى هذا الشيخ؁ إن يكن الله خير عبداً
بين الدنيا وبين ما عنده فاخار ما عند الله؟ فكان رسول الله ﷺ
هو العبد؁ وكان أبو بكر ﷺ أعلمنا.

قال النبي ﷺ: «يا أبا بكر لا تبك؁ إن آمن الناس على في
صلبته وماله أبو بكر؁ ولو كنت ملخذاً خليلاً من أمتى
لاأأأأ أبا بكر؁ ولكن أخوة الإسلام ومولده؁ لا يبقين في

المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر»^(١).
والمراد بالمنّ في قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ»:
العطاء والبذل، وليس من الامتنان والاعتداد بالصنيعة، لأنه
أذى مبطل للثواب، ولأن المنّة لله ولرسوله ﷺ، قاله الإمام
النووي رحمه الله^(٢).

• مضاعفة ثواب الصلاة في المسجد النبوي الشريف:

الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام:
* عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي
هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد
الحرام»^(٣).

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب الخوخة والممر في المسجد. ١ / ١١٩.
وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ؓ: باب من فضائل أبي بكر الصديق
رقم / ٢.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥ / ١٥٠.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم/
٥٠٨.

أخى المؤمن الحاج والمعتمر: لعل فى هذه البشريات وهذا الفضل ما يدفعنا إلى أن نحرص على قضاء كل لحظة فى المسجد النبوى الشريف، بدلاً من التجول فى الأسواق والجلوس مع الرفاق فى كلام نؤاخذ عليه بين يدي الله تعالى؛ فما جئنا إلى هذه البقاع إلا لتحصيل الثواب والفوز بالمغفرة وشفاعة الحبيب سيدنا محمد ﷺ، ولنستحى أن نخالف هديه أو نتأخر عن سنته ونحن فى جواره وبمدينته المنورة، والله المستعان.

• شدُّ الرحال إلى المسجد النبوى الشريف:

* عن أبى سعيد الخدرى ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»^(١).

• خصوصية الروضة الشريفة فى المسجد النبوى الشريف:

حَسِبُ هذه البقعة المباركة فضلاً وشرفاً أنه لم يرد نص عن بقعة من بقاع الأرض أنها من الجنة إلا هذه البقعة الشريفة التى

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج؛ باب سفر المرأة مع محرم، رقم/ ٤١٥.

بين منبره وبيته، وبيته ﷺ هو قبره.

* عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»^(١).

* عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»^(٢).

• دلالة قوله ﷺ: «روضة من رياض الجنة»:

للعلماء تفسيرات ثرية لهذا الحديث الشريف، والعلماء فيه فريقان:

١ - فريق من العلماء أجرى المعنى على حقيقته، وأن الروضة مقتطعة من الجنة، كما هو الحال في الحجر الأسود، وبعض علماء هذا الفريق أجرى المعنى على الحقيقة من طريق آخر، وهو أن هذه البقعة المباركة التي تسمى الروضة سوف تنتقل يوم القيامة

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج؛ باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم / ٥٠٠.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٦٤. وكنز العمال ١٢ / ٢٦١.

إلى الجنة، فتكون روضة من رياضها قياساً على الجذع الذى حنَّ
إلى النبى ﷺ^(١).

٢- الفريق الثانى من العلماء لم يُجِرِ المعنى على الحقيقة، وإنما
لجأ إلى المجاز بوجهين مختلفين:

أحدهما: أن العبادة فى هذه الروضة تؤدى إلى الجنة، قياساً
إلى قول النبى ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا....»^(٢)،
وقوله ﷺ: «الجنة تحت ظلال السيوف»^(٣) فأطلق اسم المسبب
على سببه، ويكون المعنى على هذا النحو:
الروضة توصل الملازم للطاعات فيها إلى الجنة، أى هو مجاز
باعتبار المآل.

ثانيهما: تشبيه هذا المكان كأنه روضة من رياض الجنة؛ لما به
من تنزل الرحمات والسكينة والمغفرة.

(١) راجع: فتح البارى ١١ / ٤٧٥.

(٢) سنن الترمذى، كتاب الدعوات، رقم / ٣٥٠٩.

(٣) صحيح البخارى، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف،
رقم / ٢٦٦٣.

ومهما يكن من شيء، فلهذه البقعة المباركة مزية وفضل،
ونخرج من اختلاف العلماء بأن نؤمن
بأنها روضة من رياض الجنة على الوجه الذى أَراده الله تعالى
وأخبر به النبى ﷺ، دون اشتغال بالكيفية، وفضل الله واسع،
ولا حرج على فضل الله.

• منبر النبى ﷺ:

لما كثر عدد المصلين أشار بعض الصحابة على رسول الله ﷺ
بعمل منبر يخطب عليه حتى يراه الناس.
* عن أنس بن مالك ؓ أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم
الجمعة، فيسند ظهره إلى جذع منصوب فى المسجد فيخطب.
فجاء رومى (لعله تميم الدارى) فقال: ألا نصنع لك شيئاً تقعد
عليه وكأنك قائم؟ فصنع له منبراً له درجتان، ويقعد على
الثالثة (١).

(١) صحيح ابن خزيمة ٣ / ١٤٠. وسنن الترمذى: كتاب المناقب: باب (٦) رقم /
٣٦٢٧. وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

ولما وُضِع المنبر الشريف في مكانه صعد عليه النبي ﷺ، فصلى عليه والناس خلفه، حتى يروا كيفية صلاته ﷺ فيتبعوه.

ولم يزل المنبر على حاله ثلاث درجات حتى زاده مروان ابن عبد الحكم في خلافة معاوية رضي الله عنه ستّ درجات من أسفله.

* عن أبي حازم (سلمة بن دينار) أن نفراً سألوا سهل ابن سعد: من أى شىء المنبر؟ فقال: ما بقى في الناس أعلم منى، هو من أثل الغابة^(١)، عمله فلان مولى فلانة، لرسول الله ﷺ.

وقام عليه رسول الله ﷺ حين عمل ووضع، فاستقبل القبلة وكَبَّر، وقام الناس خلفه، فقرأ وركع، وركع الناس خلفه، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقري، فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، ثم ركع، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقري حتى سجد بالأرض، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته.

ثم أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس إنى صنعت هذا

(١) الأثل: شجر كريم العود، تصنع منه الأبواب والأقداح، اتخذ منه منبر سيدنا رسول الله ﷺ، لسان العرب: مادة (أ ث ل).

لتأتموا بى، ولتعلموا صلاتى» (١).

وهكذا نرى أن المنبر الشريف كان وسيلة تعليمية يلجأ إليها النبي ﷺ مقدّمًا هذا البيان العمل لعبادة الصلاة، اللهم صلّ وسلم على معلم الناس الخير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

• المنبر الشريف والوحي:

* عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر» فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: «آمين»، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: «آمين»، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: «آمين»، فلما نزل قلنا: يا رسول الله، لقد سمعنا منك اليوم شيئًا ما كنا نسمعه، قال: «إن جبريل عليه السلام عرض لي، فقال: بُعدًا لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، قلتُ: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بُعدًا لمن ذُكرت عنده فلم يُصلّ عليك، قلتُ: آمين، فلما

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، رقم / ٤٤.

رقيت الثالثة قال: بُعْدًا لمن أدرك أبواه الكبر عنده - أو أحدهما -
فلم يدخله الجنة، قلت: آمين...»^(١).

• المنبر الشريف على ترعة من ترع الجنة:

من فضائل المنبر الشريف لسيدنا رسول الله ﷺ، أنه سيكون
يوم القيامة على ترعة من ترع الجنة. وتكرر في أحاديث نبوية
كثيرة: «منبرى على ترعة من ترع الجنة»^(٢).

ما معنى (ترعة) الواردة في الحديث؟

تأتى لفظ (ترعة) فى اللغة على خمسة معانٍ^(٣)؛ هى:

- ١ - الروضة.
- ٢ - الدرجة.
- ٣ - الباب.
- ٤ - مفتاح الماء.
- ٥ - الكوة.

والذى يناسب السياق هنا هو معنى: مفتاح الماء، فىكون المنبر

(١) المستدرك ٤ / ١٥٣ - ١٤٥.

(٢) مسند أحمد: ٥ / ٣٣٥، ٣٣٩، السنن الكبرى: ٥ / ٢٤٧، مجمع الزوائد: ٩ / ٤.

(٣) غريب الحديث لأبى عبيد: ١ / ٤، تهذيب اللغة ٢ / ٢٦٦، لسان العرب: مادة
(ت ر ع).

على مفتاح الماء لحوض النبي ﷺ.
ويتفق هذا مع ما يرد بعد ذلك من أن المنبر على حوض
النبي ﷺ. والله تعالى أجل وأعلم.

• المنبر على الحوض:

جاء في السنة المطهرة أن المنبر الشريف الذي كان يخطب عليه
رسول الله ﷺ سيكون يوم القيامة منصوباً على حوضه ﷺ،
وهذه مَزِيَّة نالها المنبر بوقوف النبي ﷺ عليه وإلقاء خطبه من
فوقه، وقد تكرر في أحاديث نبوية كثيرة: «... ومنبرى على
حوضي»^(١).

• المنبر الشريف تأخذه الخشية من خطب رسول الله ﷺ:

وردت أحاديث نبوية كثيرة تفيد أن المنبر الشريف كان
يرتجف تحت رسول الله ﷺ حين يأتي ذكر القيامة وأهوالها وذكر
عظمة الله تعالى.

(١) صحيح البخارى، كتاب التطوع، باب فضل ما بين القبر والمنبر، رقم / ١١٣٨ .

* عن عبد الله بن مِقْسَمٍ، أنه نظر إلى عبد الله بن عُمر - رضى الله عنهما - كيف يحكى رسول الله ﷺ قال: «يأخذ الله ﷻ سماواته وأراضيه بيديه، فيقول: أنا الله، (ويقبض أصابعه وييسطها) أنا الملك» حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شىء منه، حتى إنى لأقول: أساقطُ هو برسول الله ﷺ»^(١).

• رسالة المنبر في حياة الأمة:

مما سبق يظهر لنا دور المنبر في الدعوة إلى الله تعالى، وكل منبر في مسجد ينتسب إلى منبر رسول الله ﷺ، فليكن لله تعالى لإقامة دين الله ﷻ، وينبغي ألا يستخدم لأهواء البشر وبدعهم. لقد أصيب المنبر في حياتنا المعاصرة بالجمود، وتحول إلى حرفة يتوسل بها إلى الارتزاق، فحلت اللقمة فيه محل الفكرة، وأصبح الناس يضربون المثل بالخطباء في الكلام النمطى المكرر الذى لا يتصل بواقعهم ومشكلاتهم، لقد أصبح الخطيب

(١) صحيح مسلم: كتاب المنافقين: صفة القيامة والجنة والنار، رقم / ٢٥، تفسير ابن كثير ٤ / ٦٣.

مكتبياً، يحفظ الخطبة المنمقة من بطون الكتب دون أن يعيش عصره وهموم وآلام أمته، يضاف إلى غياب المنبر عن آلام الأمة أمرٌ آخر هو اتخاذ المنبر عند كثير من الخطباء أداةً للتفريق بين المؤمنين وتبادل الاتهامات بين الجماعات المختلفة. ما أحوجنا إلى أن نعود بالمنبر إلى سيرته الأولى في عهد سيدنا رسول الله ﷺ.

• حنين الجذع وشوق الجمادات إلى النبي ﷺ :

تواتر خبر حنين الجذع لما تركه النبي ﷺ وصعد المنبر، من ذلك:

* عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يصل إلى جذع يتساند إليه، فجعل له المنبر، فصعد النبي ﷺ، فخطب الناس، فحنَّ الجذعُ كما تحنُّ الناقةُ.

فأتاه رسول الله ﷺ، فوضع يده عليه، وقال: «ما شأنك؟ إن شئت دعوت الله ﷻ فردَّكَ إلى مُحْتَشِكٍ، وإن شئت دعوت الله ﷻ فأدخلك الجنة فأثمرت فيها، فأكل من ثمارك أولياء الله

المتقون وأنبياءه المرسلون» فسمعنا رسول الله ﷺ يقول: «نعم»،
فغار الجذع فذهب»^(١).

• **محبة الجمادات وطاعتها للنبي ﷺ:**

التأمل لحياة الأنبياء يرى أن الله تعالى أيد أنبياءه بمعجزات
شتى دليلاً على صدق دعوتهم وحقيقة نبوتهم، وهكذا ارتبطت
المعجزة بالنبوة، ومع المعجزة الكبرى، الباقية إلى يوم القيامة،
التي جعلها الله تعالى دليلاً على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ وهي
القرآن الكريم، فإن الله تعالى أكرم نبيه محمداً ﷺ بمعجزات
حسية، نُقلت إلينا بالأسانيد الصحيحة المتواترة. والعناية بذكر
هذه المعجزات وبيانها فيه الكثير من الفوائد العظيمة للأمة،
ومنها:

١ - التعريف بقدر هذا النبي الكريم عند ربه وعلو شأنه ﷺ.

٢ - إظهار مدى تأييد الله تعالى لمن أخلص إليه، حيث يلحق

بالأنبياء الأولياء، فتقع على أيديهم الكرامات، وفي هذا ما يحمل

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ٢ / ٥١٩، مجمع الزوائد ٢ / ١٨٢.

على صدق الإخلاص والتوكل على الله ﷻ.

٣- الحب لرسول الله ﷺ مما يحمل على التأسى والاقتداء

به ﷺ.

ومن المعجزات الحسية التي أكرم الله بها نبيه محمدًا ﷺ: زيادة الطعام وحلول البركة فيه بين يديه ﷺ حتى يشبع الخلق الكثير من الطعام القليل.

* فمن ذلك ما ورد في شأن أم سُلَيم حين رأى زوجها (أبو طلحة) علامات الجوع على رسول الله ﷺ، وذهب إلى بيته، وأخبر أم سُلَيم لتعد طعامًا لرسول الله، ودعا أبو طلحة رسول الله ﷺ، ولم يأت النبي وحده، بل دعا القوم جميعهم، وكانوا ثمانين رجلاً، وأذهلت المفاجأة أم سليم وزوجها، وقال لرسول الله ﷺ: ليس عندنا ما يكفى هذا الجمع، إنما هو قرص لك.

فقال النبي ﷺ: «إن الله سيبارك فيه» ودخل النبي ﷺ وبارك الطعام بيديه، ثم قال لأبى طلحة: ائذن لعشرة، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال النبي ﷺ: ائذن لعشرة.

فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا... وهكذا حتى أكل القوم كلهم وشبعوا^(١).

* وكذلك عندما صنعت زوج جابر بن عبد الله طعامًا (عنزًا وصاعًا من شعير)، وقال جابر: يا رسول الله؛ تعال ونفّر معك، فجاء بالمهاجرين والأنصار والذين معه في غزوة الخندق، وكانوا ألف رجل، فأكلوا جميعًا حتى شبعوا، وبقيت بقية من هذا الطعام القليل^(٢).

وتحمل هذه المعجزة هدايات إيمانية، من أهمها:

* حين يبارك الله ﷻ في الشيء يزداد النفع به. (والبركة معناها: زيادة ونماء في الشيء بصورة غير محسوسة)، وقد حدد القرآن الكريم سبل تحصيلها بأمرين:

١ - الإيمان. ٢ - التقوى.

(١) صحيح البخارى، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم/ ٣٣٨٥.

(٢) صحيح البخارى، كتاب المغازى، باب غزوة الخندق وهى الأحزاب، رقم/ ٣٨٧٥، ٣٨٧٦.

لَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦).

وتحمل سنة الهادى البشير سيدنا محمد ﷺ جوانب تطبيقية لهذا المعنى، من ذلك سنة التسمية قبل الطعام والأكل باليمين، ومما يلي الإنسان، ولا يأكل إلا إذا جاع، وإذا أكل لا يشبع، فبهذا يُحَصِّل المؤمن البركة فى الطعام.

كما تحمل هذه المعجزة فقهاً آخر من خلق سيدنا رسول الله ﷺ، فقد قدّم أصحابه على نفسه.. إشاراً لهم، ورعاية لأحوالهم، ليكون أسوة للأمة وقدوة فى هذا الخلق العظيم.

كما تحمل - أيضاً - هذه المعجزة بياناً لزهد رسول الله ﷺ فى متاع الدنيا وزينتها. كما يظهر لنا أيضاً حب الصحابة لرسول الله ﷺ وشعورهم به وسعيهم لأجله.

أيضاً من المعجزات التى أكرم الله بها سيدنا محمد ﷺ تعظيماً لقدره ورفعته لشأنه، وانتقلت إلينا بالأسانيد الصحيحة، طاعة الجمادات له ﷺ كالحجر والشجر وتكليمها له ﷺ.

* فأما بشأن طاعة الجهادات له وتكليمها النبي ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلم علىَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن»^(١).

* ومن ذلك أيضاً ما رواه الترمذی من حديث علي بن أبي طالب ؓ قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: «السلام عليك يا رسول الله»^(٢).

ومنه ما رواه البخاري بشأن حنين الجذع الذي يخطب عليه النبي ﷺ، حين فارقه النبي ﷺ إلى المنبر الذي صنع له.

وأما عن طاعة الشجر له، فروى مسلم في صحيحه في حديث طويل بشأن الشجرتين اللتين ناداهما رسول الله ﷺ،

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي وتسليم الحجر عليه، رقم/٦٠٧٨.

(٢) سنن الترمذی، كتاب المناقب، رقم/٣٦٢٦.

وقال لكل منهما: «انقضى على بإذن الله»^(١)، فانقادت له كل منهما.

وتحمل هذه المعجزات من العبر والعظات ما يزيد المؤمنين إيماناً وهدى، من ذلك:

١. إن الجمادات والأشجار ونحوها أقبلت طائعة لأمر رسول الله ﷺ بإذن الله، والأولى بذلك الناس الذين أرسل النبي إليهم وبعث من أجلهم أن يسارعوا لطاعته والتأسي به والافتداء به ﷺ.

٢. إن الجمادات والأشجار ليست بمعزل عن سياق الطاعة والعبادة، وسبحان الله القائل في كتابه العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ (الحج: ١٨). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، رقم/ ٧٧٠٥.

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ ﴿٤٤﴾ (الإسراء: ٤٤).

٣. إن العز في طاعة الله سبحانه، وأن من أكرمه الله تعالى
سخر له الأشياء.

• أسطوانات الروضة الشريفة:

المقصود بأسطوانات الروضة: الأعمدة التي بالروضة
الشريفة، وكانت هذه الأسطوانات من جذوع النخيل على عهد
رسول الله ﷺ، ووفق الله من قاموا بتوسعة المسجد وبنائه في
المحافظة على أماكن هذه الأسطوانات، وذلك لأن كل أسطوانة
منها ترتبط بموقف وطاعة، والشئ يُفَضَّل أيضًا بما يجاوره
ويقاربه، فكيف بما كان في الروضة الشريفة؟ ولقد كان
الصحابه ﷺ يتبادرون للصلاة عندها.

* عن أنس بن مالك ﷺ، قال: «لقد رأيت كبار أصحاب
النبي ﷺ يتدرون السوارى عند المغرب - حتى يخرج النبي»^(١).
* عن يزيد بن أبي عبيد قال: «كنت آتى مع سلمة بن

(١) صحيح البخارى: كتاب الصلاة: أبواب سترة الصلاة ١ / ١٢٧.

الأكوع فيصل إلى عند الأُسطوانة التي عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأُسطوانة التي عند المصحف، قال: فإنني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها^(١). وهذه الأُسطوانات التي بالروضة مكتوب أعلى كل أُسطوانة منها اسمها، وفيما يلي موجز مختصر عن هذه الأُسطوانات:

١. أُسطوانة السرير:

وهي مما يلي الحجرة الشريفة، في مقابلة أُسطوانة التوبة، وتلتصق بشباك الحجرة المطل على الروضة الشريفة، وكان النبي ﷺ يضطجع عندها على سرير من جريد، حيث كانت محلاً لا اعتكافه ﷺ.

٢. أُسطوانة الحرس:

تقع شمال أُسطوانة السرير، وعندها كان يجلس بعض صحابة النبي ﷺ يحرسون رسول الله ﷺ، حتى نزل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)، فأُطلَّ عليهم

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: أبواب سترة الصلاة ١ / ١٢٧.

رسول الله ﷺ وقال لهم: «انصرفوا؛ فقد عصمني الله ﷻ».

* عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة^(١)، وقال: «يا أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمني الله ﷻ»^(٢).

٣. أُسْطُوَانَةُ الْوُفُود:

تقع شمال أُسْطُوَانَةِ الْحَرْسِ، وكان النبي ﷺ يجلس عندها لاستقبال الوفود القادمة إليه ﷺ.

٤. أُسْطُوَانَةُ مَقَامِ جَبْرِيلَ:

مكان هذه الأُسْطُوَانَةِ خلف بيت السيدة فاطمة - رضى الله عنها، ومكانها الآن محراب خلف الحجرة الشريفة، أمامها جزء مرتفع قليلاً، وهى على يمين الخارج من باب جبريل ﷺ.

(١) القبة: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب، وقيل: هى البناء من الأدم - أى الجلد - خاصة، لسان العرب: مادة (ق ب ب).

(٢) سنن الترمذى: كتاب تفسير سورة المائدة، رقم / ٣٠٤٦.

وورد أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل للتهجد يوضع له
حصير عندها ويصلى عليه ما شاء الله تعالى له.
ومما ورد أن رسول الله ﷺ كان يأتي وينادي: الصلاة، لعل
وفاطمة - رضى الله عنهما.

٥. أُسطوانة عائشة - رضى الله عنها:

هى الأُسطوانة التى بعد أُسطوانة التوبة إلى الروضة، وهى
الثالثة من المنبر ومن القبر، وهى متوسطة فى الروضة، وكان
المهاجرون من قریش يجتمعون عندها، ولذلك أُطلق عليها
مجلس المهاجرين، ويستحب الصلاة عندها، وسُميت بأُسطوانة
عائشة لأنها أخبرت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بفضل تلك
الأُسطوانة، فقام فصلى عندها، فظن الناس أن عائشة أخبرته بها
فَسُمِّيَتْ بذلك.

٦. أُسطوانة المصحف:

وهى التى عن يمين المحراب الذى كان يصلى إليه رسول

الله ﷺ، في أرجح الأقوال؛ لقول الإمام مالك رحمه الله فيما نقله ابن النجار: أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف كبير، وكان في صندوق، عن يمين الأُسطوانة التي عملت على مقام النبي ﷺ، وكان يفتح يومى الجمعة والخميس فيقرأ فيه إذا صَلَّيت الصبح^(١).

* عن يزيد بن أبى عبيد قال: كنت أتى مع سلمة بن الأكوع رحمه الله، فيصلى عند الأُسطوانة التى عند المصحف، فقلت: يا أبا مُسلم، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأُسطوانة. قال: فإنى رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها^(٢).

٧. أُسطوانة التوبة:

تقع غربى أُسطوانة السرير، وشرقى أُسطوانة أم المؤمنين السيدة عائشة - رضى الله عنها - وتعرف بأُسطوانة أبى لبابة رحمه الله،

(١) أخبار مدينة رسول الله ﷺ / ١٠٦، فضائل المدينة المنورة ٢ / ٣٢٩.

(٢) صحيح البخارى: كتاب الصلاة: باب الصلاة للأُسطوانة ١ / ١٢٧.

ولذلك قصة، خلاصتها:

أنه لما غدر بنو قريظة (من اليهود) برسول الله ﷺ، وانضموا إلى كفار قريش يوم الخندق، فلما نصر الله تعالى رسوله ﷺ وهزم الأحزاب، أمر ﷺ بالزحف إلى بنى قريظة، فحاصرهم ﷺ خمسًا وعشرين ليلة.

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، أرسلوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المنذر ليستشيره في أمرهم؛ لأنه كان حليفًا لهم، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرَّق لهم، وقالوا له: يا أبا لُبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد ﷺ؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح.

قال أبو لُبابة ﷺ: فوالله ما زالت قدماي في مكانها حتى عرفتُ أني قد خنت الله ورسوله ﷺ.

ثم انطلق أبو لُبابة ﷺ على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ،

حتى ربط نفسه في المسجد في هذه الأسطوانة، وقال: لا أبرح
مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، فلما بلغ رسول
الله ﷺ خبره - وكان قد استبطأه - قال: «أما إنه لو جاءني
لاستغفرت له، فأما قد فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى
يتوب الله عليه».

ثم نزلت توبته على رسول الله ﷺ في وقت السحر، وهو في
بيت أم سلمة - رضى الله عنها. فبشرته أم سلمة بذلك، وذلك
قبل ضرب الحجاب. فثار الناس إليه ليطلقوه. فقال: لا والله
حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده فلما مر عليه
رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه^(١).

وقد كان النبي ﷺ إذا اعتكف يُطرح له فراشه أو سريره
وراءها؛ أى وراء أسطوانة أبى لبابة، وهى أسطوانة التوبة.

* عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه
كان إذا اعتكف، طُرح له فراشه - أو يوضع له سرير - وراء

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦٧ - ٢٦٨، دلائل النبوة للبيهقي ٤ / ١٥ - ١٧.

أُسطوانة التوبة^(١).

- انظر الرسم التوضيحي رقم (٢) لأسطوانات الروضة بملحق الصور.



أسطوانات الروضة الشريفة

(١) سنن ابن ماجة: كتاب الصيام: باب في المعتكف يلزما مكاناً في المسجد،
رقم / ١٧٧٤.

• الحجرة الشريفة:

هى الحجرة التى ضمت قبره الشريف، وهى حجرة السيدة عائشة - رضى الله عنها.

* عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: لما اختلفوا فى دفن النبى ﷺ حين قبض، قال أبو بكر رضى الله عنه: سمعت النبى ﷺ يقول: «لا يُقبض النبى إلا فى أحب الأماكن إليه»، فقال أبو بكر: ادفنوه حيث قبض^(١).

• حجرات أمهات المؤمنين:

هى حجرات أزواج النبى ﷺ، ونالت شرف الذكر فى القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤) (الحجرات)، وأضيفت هذه الحجرات إلى النبى ﷺ تشريفاً لها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُونَهَا إِنَّمَا يُؤْذَنُ لَكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

(١) سنن الترمذى: كتاب الجنائز، باب ٣٣، رقم / ١٠١٨.

ويلحق بهذه الحجرات بيت السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ،
والذى اتفق المؤرخون على تحديده من الحجرات خمس فقط:
* روى عن ابن إسحاق - من علماء المدينة - قال: كانت أول
حجرة من حجر أزواج النبي ﷺ حجرة حفصة وهى موضع
خوخة عمر، ثم تليها حجرة السيدة عائشة - رضى الله عنها -
وهى موضع القبر الشريف، وبعدها حجرة السيدة فاطمة
- رضى الله عنها - فى الصدر عند باب جبريل عليه السلام،
وبعدها حجرة أم سلمة وآخر الحجرات حجرة جويرية،
رضوان الله تعالى على أزواج النبي ﷺ^(١).

أما بقية الحجرات الشريفة فلم يتفق المؤرخون على مكانها
من المسجد.

• بيت فاطمة - رضى الله عنها:

* أما بيت فاطمة - رضى الله عنها - بنت رسول الله ﷺ وعلى

(١) كتاب المناسك / ٣٧٣، أخبار مدينة الرسول ﷺ / ٧٣.

آله فقد كان خلف بيت النبي ﷺ عن يسار المصلى إلى الكعبة، وكان فيه خوخة إلى بيت النبي ﷺ كان رسول الله ﷺ يطل منها ليطمئن عليهم، وكان يأتي بابها كل صباح فيأخذ بعضادتيه، ويقول: «الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»^(١).

* وقال محمد بن قيس^(٢): كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر أتى فاطمة - رضى الله عنها - فدخل عندها، وأطال عندها المكث. فخرج مرة في سفر فصنعت فاطمة مسكتين من ورق «فضة» وقرطين وستراً لباب بيتها لقدوم أبيها وزوجها، فلما قدم ﷺ ودخل إليها وقف أصحابه على الباب، فخرج وقد عُرِفَ الغضب في وجهه، ففطنت فاطمة، إنما فعل ذلك لما رأى المسكتين والقلادين والستر. فنزعت قرطيهما وقلاديتها ومسكتيهما، ونزعت الستر، وأرسلت به إلى رسول الله ﷺ

(١) مسند أبي يعلى، باب على بن زيد عن أنس، رقم / ٣٩٧٨ .

(٢) أخبار مدينة الرسول ﷺ / ٧٦ .

وقالت للرسول الذى أرسلته: قل للنبي ﷺ: ابتك تقرأ عليك السلام وتقول لك: اجعل هذا فى سبيل الله.
فلما أتاه قال: «قد فعلت - فداها أبوها - ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»، ثم قامت فدخل عندها.

وقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر قبّل رأس فاطمة - رضى الله عنها.

وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: قبر فاطمة - رضى الله عنها - فى بيتها الذى أدخله عمر بن عبد العزيز فى المسجد. وبيتها اليوم حوله مقصورة وفيه محراب، وهو خلف حجرة النبي ﷺ^(١).

* عن عبد الله بن يزيد الهذلي، قال: رأيت بيوت أزواج

(١) أخبار مدينة الرسول ﷺ / ٧٥-٧٦.

النبي ﷺ حين هدمها عمر بن عبد العزيز، كانت بيوتًا باللبن ولها حجر من جريد، ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها من لبن، فسألت ابن ابنها فقال: لما غزا رسول الله ﷺ دومة، بنت أم سلمة حجرتها باللبن، فلما قدم نظر إلى اللبن، فقال: «ما هذا البناء؟» فقالت: أردت أن أكف أبصار الناس، فقال ﷺ: «يا أم سلمة، إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنيان»^(١).

* وقال عطاء الخراساني: أدركت حجر أزواج النبي ﷺ من جريد النخل، على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حجرات النبي ﷺ في مسجده، فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم. وسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم لو تركوها على حالها، ينشأ ناس من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته، فيكون ذلك مما يُزهد الناس في

(١) أخبار مدينة الرسول ﷺ / ٧٦.

التكاثر والفخر.

وقال عمران بن أبي أنس: لقد رأيتني في مسجد رسول الله وفيه نفر من أصحابه: أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل وخارجة - يعنى لما نقضت حجرات أزواجه ﷺ - وهم سيكون حتى اخضلت لحاهم من الدمع، وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تركت حتى يقصر الناس من البنيان، ويروا ما رضى الله تعالى لنبيه ﷺ ومفاتيح الدنيا بيده (١).

وهكذا نرى أن النبي ﷺ عاش في هذه البيوت المتواضعة، ولم يهتم بزخارف الدنيا ومتاعها القليل؛ رغبة فيما عند الله تعالى من النعيم المقيم، ولم يكن ذلك لعجزه ﷺ عن الأسباب التى تحقق الرفاهية، وإنما هو اختيار وإيثار للآخرة على الأولى، فأنعم بها من موعظة شافية للقلوب التى غرقت في حب الدنيا وزخارفها، فكان ما كان من الوهن والضعف والذلة والمهانة أمام الشهوات والنزوات التى تغتال قيم الإيمان في حياة الأمة،

(١) أخبار مدينة الرسول ﷺ / ٧٤ - ٧٥.

وكان ما كان من التنافس على الشهوات والنزوات مما أدى
بكثير من الناس إلى الهلاك والضياع. اللهم ردّنا إلى الإيمان
ردًّا جميلاً.

• الصُّفَّةُ وأهلها:

هى ظُلَّةٌ فى مؤخرة مسجد النبى ﷺ يأوى إليها المساكين
والغرباء^(١)، وإليها ينسب أهل الصُّفَّة. وعليها كان ينزل
المهاجرون الذين لم يتوفر لهم مكان عند الأنصار. ومنهم من
جاء إليها ليتوفر لطلب العلم ويعود معلمًا لقومه.
واتفق المؤرخون الأوائل على تحديد مكانها، فى الجهة الشمالية
للمسجد، أى غربى دكة الأغوات.

لأن موضع دكة الأغوات الموجودة حالياً بين باب جبريل
وباب النساء كان خارج المسجد عند باب الصُّفَّة ولكن هذه
الدكة أقيمت بمحاذاة الصُّفَّة عند توسعة المسجد النبوى
الشريف فى العصور المتأخرة، تماماً مثل الأبواب الأثرية التى

(١) فتح البارى ٦ / ٥٩٥.

جعلت في محاذة محلها الأول عند التوسعات وأطلق عليها
الاسم السابق^(١).

• عدد أهل الصُّفَّة وحالهم:

حوالى السبعين، يكثرُونَ بنزول الضيوف الوافدين، ويقلون
بزوال سبب البقاء بالصُّفَّة، كزواج، أو سفر، أو موت... إلخ.
* عن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: «لقد رأيت سبعين من أهل
الصُّفَّة ما فيهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا
في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ إلى
الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته»^(٢).

• مواقف إيمانية لأهل الصُّفَّة:

رغم انزواء الدنيا عنهم؛ فإنهم رضي الله عنهم لم تُشغل قلوبهم بها، بل

(١) راجع: بيوت الصحابة رضي الله عنهم / ٤٧.

(٢) صحيح البخارى: كتاب الصلاة: باب نوم الرجال في المسجد، ٨ / ٤٤٢.
الرداء: ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة، والإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل
من البدن، والكساء هو الثوب الذى يستتر به.

كانت لهم الهمة العالية في الطاعة، لقد أثنى الله عليهم في قرآنه، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: ٢٧٣).

ومن المواقف التي وردت في الصحيح، والتي تفيض بالموعة الهادية هذان الموقفان:

١ - موقف أبي هريرة رضي الله عنه:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: «والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحاجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ. ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ عَنْهَا إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ رضي الله عنه فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى نِيَّ وَعَرَفَ مَا

فى نفسى وما فى وجهى؁ ثم قال: أبا هرّ؟ قلت: لبيك يا رسول الله. قال: الحقّ؁ ومضى؁ فاتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى؁ فدخل فوجدت لبنًا فى قدح. فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهده لك فلان؁ قال: «يا أبا هرّ» قلت: لبيك رسول الله؁ قال: الحقّ إلى أهل الصّفّة فأدعهم لى.

قال: وأهل الصّفّة أضياف الإسلام؁ لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد. إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولا يتناول منها شيئًا؁ وإذا أتته ﷺ هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها.

فسأنى ذلك؁ فقلت: وما هذا اللّبن فى أهل الصّفّة؟ كنت أحق أن أصيب من اللّبن شربة أتقوى بها؁ فإذا جاءوا أمرنى؁ فكنت أنا أعطيهم؁ وما عسى أن يبلّغنى من هذا اللّبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدّ. فأتيهم؁ فدعوتهم؁ فأقبلوا؁ فاستأذنوا؁ فأذن لهم؁ فأخذوا مجالسهم من البيت.

قال: «يا أبا هرّ»؁ قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «خذ

فأعطهم». فأخذت القدح فجعلتُ أُعطيه الرجل، فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد رَوَى القومُ كلهم. فأخذ القدح، فوضعه على يده، فنظر إليّ، فتبسم، وقال: «يا أبا هرٍّ». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «بقيت أنا وأنت».

قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت، فقال: «اشرب». فشربت. فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: والذي بعثك بالحق لا أجده له مسلَكًا. قال: «فأرني» فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة»^(١).

٢- موقف ربيعة بن كعب رضي الله عنه:

كان ربيعة بن كعب رضي الله عنه من أهل الصُّفَّة، لا أهل له ولا مال

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، ٧ / ١٧٨.

ولا سكن، فأحب أن يتقرب لرسول الله ﷺ فجهز له ماء وضوئه ليلاً ليقوم الليل، فابتسم النبي ﷺ وأحب أن يكافئه، فقال لربيعة: «سلني»، فقال: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال له النبي ﷺ: «أو غير ذلك؟» فقال: بل هو ذاك يا رسول الله. فقال النبي ﷺ له: «أعني على نفسك بكثرة السجود»^(١).

٣- تعفف أهل الصُّفَّة وإيثار الصحابة:

إن الدين الإسلامي وضع مبادئ وأسساً للتكافل الاجتماعي، وذلك لتكوين المجتمع المسلم الذي يهتم فيه الأثرياء بشؤون المحتاجين، وقد كان الصحابة ﷺ مثلاً أعلى وصورة حية لتطبيق هذه المبادئ، وفيما يلي بعض الروايات التي تدل على إخلاصهم وإيثارهم:

* عن محمد بن سيرين قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمسى

(١) صحيح مسلم / حديث رقم ٤٨٩.

قسم ناسًا من أهل الصفة بين ناس من أصحابه فكان الرجل يذهب بالرجل، والرجل يذهب بالرجلين، والرجل يذهب بالثلاثة، حتى ذكر عشرة، فكان سعد بن عباد يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين يعشيهم^(١).

* وقال أبو ذر رضي الله عنه: كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل ويبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل، فيؤتى النبي ﷺ بعشائه ونتعشى معه، فإذا فرغنا قال رسول الله ﷺ: ناموا في المسجد^(٢).

* وعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء، وإن النبي ﷺ قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس، أو كما قال. وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق

(١) حلية الأولياء ١ / ٣٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣ / ٣٤٠.

النبي ﷺ بعشرة، وتعشى أبو بكر عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله ﷺ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك (أو ضيفك)؟ قال: أو عشيتهن؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد عرضوا عليهم فغلبوهم. قال: فذهبت فاخترت. فقال: يا غثر^(١) - فجذع وسب - وقال: كلوا، وقال: لا أطعم أبدًا.

قال: وأيم الله ما كنا نأخذ من اللقمة إلا رَبَا (أى زاد) من أسفلها أكثر، منها حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل، فنظر فإذا شيء أو أكثر فقال لامرأته: يا أخت بنى فراس، قالت: لا وقرة عيني لى الآن أكثر مما قبل بثلاث مرار، فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان للشيطان - يعنى يمينه - ثم أكل منها

(١) غثر بضم الغين وسكون النون وفتح التاء وضمها، وهو الثقيل الوخم وقيل: الجاهل، من الغثارة: الجهل، والنون زائدة. وروى بالعين المهملة والتاء، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٨٩.

لقمة ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عهد فمضى الأجل ففرقنا، اثنا عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس، والله أعلم كم مع كل رجل غير أنه بعث معهم قال: أكلوا منها أجمعون^(١).

• تعليق الأقناء:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يهتمون بشؤون إخوانهم أهل الصفة، وكان من اهتمامهم أن محمد بن مسلمة رضي الله عنه شغل فكره لتنظيم هذه الخدمات بصفة مستديمة لتثمر أفضل النتائج، وعرض رأيه في هذا الصدد على نبي الرحمة ﷺ فوافقه على رأيه. وفيما يلي تفصيل ذلك:

* روى أهل السير أن محمد بن مسلمة رأى أضيافاً عند رسول الله ﷺ في المسجد، فقال: ألا تفرق هذه الأضياف في دور

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب، علامات النبوة ٦١ : ٣٥٨١.

الأنصار، ونجعل لك من كل حائط^(١) قنوا^(٢) ليكون لمن
يأتيك من هؤلاء الأقوام؟ فقال رسول الله ﷺ: بلى. فلما جد له
مالٌ، جاء بقنوٍ فجعله في المسجد بين ساريتين، فجعل الناس
يفعلون ذلك.

وكان معاذ بن جبل ؓ يقوم عليه، وكان يجعل عليه حبلاً
بين الساريتين ثم يعلق الأقناء على الحبل، ويجمع العشرين أو
أكثر فيهن^(٣) عليهم بعصاً من الأقناء فيأكلون حتى يشبعوا،
ثم ينصرفون ويأتي غيرهم، فيفعل لهم مثل ذلك، فإذا كان
الليل فعل لهم مثل ذلك^(٤).

* وعن البراء ؓ قال: «كنا أصحاب نخل فكان الرجل

(١) الحائط واحد الحيطان: بستان من النخل. اللسان: مادة (ح و ط).

(٢) القنو: بالضم والكسر: العذق بها فيه من الرطب، جمعه أقناء وقنوان، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قَنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ (الأنعام: ٩٩). المعجم الوسيط (ق ن و).

(٣) هش الرجل الشجرة: ضربها بالعصا لیتساقط ورقها. المعجم الوسيط (ه ش
ش). والمراد هنا: ضرب القنو بالعصا لیتساقط التمر.

(٤) أخبار مدينة الرسول ﷺ / ص ٨٨.

يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته، فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فسقط منه البسر والتمر فيأكل، وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف^(١) والشيص^(٢)، فيأتي بالقنو قد انكسر فيعلقه، فنزلت الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة). فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ما عنده^(٣).

• زيارة النبي ﷺ:

(١) الحشف من التمر أردؤه، وهو الذي يحف ويصلب يتقبض قبل نضجه فلا يكون له لحم ولا حلاوة، ويقال: أحشفًا وسوء كيلة؟ لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين. المعجم الوسيط (ح ش ف).

(٢) الشيص: تمر لم يتم نضجه لسوء تأبيره أو لفساد آخر. المصدر السابق (ش ي ص).

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٥٦٨ - ٥٦٩.

على المؤمن الصادق أن يتطهر ثم يمشى إلى المسجد في سكية ووقار، مكثراً من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، مُسْتَشْعِراً فضل هذه الأماكن المباركة الشريفة التي نزل بها الوحي وأثنى الله على أهلها وباركها، فإذا وصل باب المسجد دخل برجله اليمنى، داعياً ربه:

" بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك. ثم يصلى ركعتين تحية المسجد، ثم يتوجه لزيارة المصطفى ﷺ سائلاً ربه التيسير في أدب وهدوء دون مزاحمة أو مدافعة، بل يؤثر إخوانه على نفسه، ويلزم التواضع، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، يقدم قدم المحبة ويؤخر قدم التقصير والإهمال، الشوق يحمله والحياء يمنعه، حتى إذا بلغ المواجهة الشريفة أمام النبي ﷺ، استحضر حرمة هذا النبي الكريم ومقامه الكريم وجهاده من أجل إقامة الدين ووجهه لأئمة ورأفته بها وشفقته عليها، وادخاره دعوته المستجابة ﷺ شفاعة لأئمة. ثم يسلم على رسول الله ﷺ بما يفتح الله عليه من

صيع السلام وما يحفظ في ذلك من إشراقات العلماء الأولياء
الربانيين، وهذا باب واسع من فضل الله تعالى. ثم يخطو خطوة
إلى جهة اليمين ويسلم على سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه، ثم
يخطو خطوة أخرى ويسلم على سيدنا عمر رضي الله عنه. ثم يخطو
خطوات ويتجه إلى القبلة رافعاً يديه متضرعاً إلى الله تعالى
بالدعاء الصادق".

وأرجو أخى الكريم أن تكرمنى هناك بالدعاء.

• انظر الرسم التوضيحي رقم (٣) لواجهة الزيارة النبوية
بملحق الصور.



واجهة الزيارة النبوية

٢. مسجد قباء:

أول مسجد أقيم لجماعة المسلمين أسسه رسول الله ﷺ فور وصوله من مكة مهاجرًا وهو في طريقه إلى المدينة المنورة، حيث أقام بقاء بضع^(١) عشرة ليلة.

ونزل القرآن يمدح أهل قباء ومسجدهم، فقال: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ (التوبة: ١٠٨).

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - لما نزلت الآية: ﴿... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (١٠٨) (التوبة)، بعث رسول الله ﷺ إلى عويم بن ساعدة، فقال: «ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به؟» فقالوا: يا نبي الله، ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل دبره - أو قال: مقعدته - فقال النبي ﷺ: «ففى هذا»^(٢).

وكان النبي ﷺ يأتيه كل سبت ماشيًا أو راكبًا، فيصلي

(١) البضع: من الثلاث إلى التسع.

(٢) المستدرک ١ / ١٨٧، مجمع الزوائد ١ / ٢١٢.

ركعتين.

* عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - «كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً أو راكباً، وكان عبد الله ﷺ يفعله»^(١).

* عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً، فيصلى ركعتين»^(٢).

* عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة»^(٣).

ولا حرج على فضل الله تعالى، ففضله واسع، والله تعالى أن يفعل ما شاء بما شاء، وكيف شاء.

وكان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على زيارة مسجد قباء تأسيًا

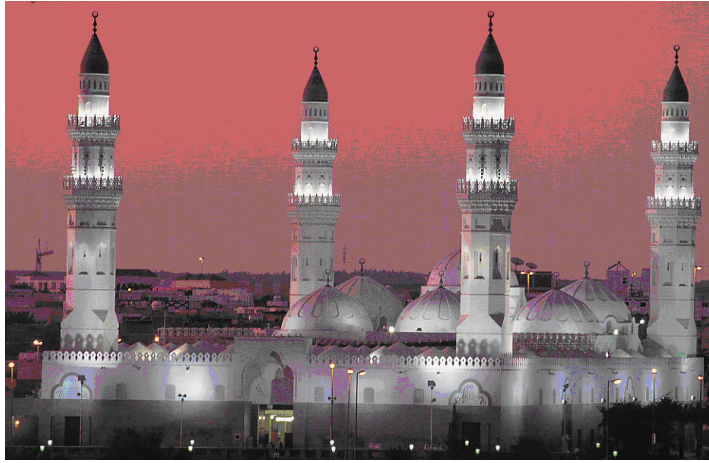
(١) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل مسجد قباء، رقم / ٥١٩.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل مسجد قباء، رقم / ٥١٦.

(٣) مسند أحمد ٣ / ٤٨٧.

برسول الله ﷺ. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كان مسجد قباء
في أفق من الآفاق ضربنا إليه أكباد المطى»^(١).

• انظر الرسم التوضيحي رقم (٤) لمسجد قباء بملحق
الصور.



مسجد قباء

(١) تاريخ المدينة ١ / ٤٦.

٣. المساجد السبعة:

تقع غربي جبل سلع، وترتبط هذه المساجد بغزوة الخندق، وهي أشبه بمواقع أو نقاط إقامة للصحابة ﷺ الذين كانوا بغزوة الخندق، وما يعرف منها الآن ستة مواضع هي^(١):

١ - مسجد الفتح.

٢ - مسجد سلمان الفارسي ﷺ.

٣ - مسجد أبي بكر الصديق ﷺ.

٤ - مسجد عمر بن الخطاب ﷺ.

٥ - مسجد علي بن أبي طالب ﷺ.

٦ - مسجد السيدة فاطمة - رضى الله عنها.

وقد يطلق عليها جميعًا مساجد الفتح.

وبنى في الفترة الأخيرة عند هذه المساجد مسجد كبير اسمه

مسجد الخندق.

ويتعلق بهذه المساجد موعظتان:

(١) معالم المدينة قديمًا وحديثًا / ١٤٣ - ١٤٥.

الأولى: موعظة إجابة الدعاء:

فعندما كانت غزوة الخندق دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب الذين غزوا المدينة، واستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه، فجاءت البشرى بالنصر لرسول الله ﷺ بمسجد الفتح، ولذلك سمي بالفتح، حتى إن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان إذا حزبه أمر، أو وقعت عليه ضائقة؛ ذهب إلى مسجد الفتح وتحين الوقت الذي استجاب فيه الله سبحانه وتعالى دعاء نبيه ﷺ، فدعا فيه؛ فيستجيب الله سبحانه وتعالى له.

الثانية: موعظة غزوة الخندق:

• الخندق:

تفيد المصادر أن الخندق كان على شكل قوس نصف دائرة يقع شمال المدينة، وتم حفره في جهة الشمال لأنها الجهة التي تسمح طبيعتها الجغرافية أن يقتحم منها الأعداء، لأن الجهتين الشرقية والغربية جبلان، فالمدينة كما علمنا بين لابتين، والجهة الجنوبية مزدحمة بالبساتين والنخيل، ولا يتأتى لجيوش

الأحزاب المهجوم من أى جهة من هذه الجهات الثلاث، والجهة الوحيدة التى تسمح طبيعتها الجغرافية أن يكون منها الاقتحام والمهجوم هى الجهة الشمالية، لذلك حفر النبى ﷺ فيها الخندق.

• أبعاد الخندق:

○ طول الخندق: حوالى ٣ كيلو مترات.

○ عرضه: حوالى ٥ أمتار.

○ عمقه: حوالى ٥ أمتار.

• غزوة الخندق:

لما أَجَلَى رسول الله ﷺ يهود بنى النضير إلى خير، دعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله.

فقال لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق، فأنزل

الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَطَاعُوا وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّولَاءَ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِيمَانِ ؕ آمَنُوا سَبِيلًا ۚ ﴾ (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۚ ﴾ (٥٢) إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا ۚ ﴾ (٥٥) (النساء)، فنشطت قريش وسُروا، وضربوا لذلك وقتًا حددوه.

ثم إن يهود خيبر خرجت إلى غطفان فدعوهم إلى قتال رسول الله ﷺ، فاتفقوا معهم، ثم خرجوا إلى بنى سليم فدعوهم، فوعدوهم المسير.

ثم خرجت قريش والقبائل التي دعتهم اليهود حتى وافى عددهم عشرة آلاف مقاتل.

وأخبر رسول الله ﷺ بخبر الأحزاب، وما تجمعوا له، وما أجمعوا عليه، فأمر بحفر الخندق على المدينة، ويقال: إن الذي أشار به هو سلمان ﷺ.

وركب ﷺ فرسًا، ومعه عدد من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعًا ينزله، وجعل جبل سلع خلف ظهره، وحدًا موضع

الخنديق، وجعل لكل عشرة من الصحابة ﷺ أربعين ذراعاً
يحفرونها. وحث ﷺ المسلمين على حفر الخندق.

* عن البراء ﷺ قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم
الخنديق، حتى وارى التراب جلدة بطنه، وكان كثير الشعر،
فسمعتة يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب،
يقول:

يا ربّ لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزلنّ سكيناً علينا
وثبّت الأقدام إنّ لاقينا
إن الذين قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنةً أبينا
ويرفع بها صوته: أبينا، أبينا^(١).

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم / ١٢٥.

وكما كان ﷺ ينقل التراب من الخندق - بعد حفره - كان
يناول القوم الحجر واللبن لبناء جدران الخندق.
* عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت: ما نسيت قوله ﷺ
يوم الخندق وهو يعاطيهم اللبن، قد اغبرَّ شعْرُ صدره، وهو
يقول:

اللهم إن العيشَ عيشُ الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة^(١)

واستمر المسلمون في حفر الخندق ستة أيام حتى أحكموه،
وهم يرتجزون في أثناء عملهم، ترويحاً لنفوسهم، وتنشيطاً على
العمل، وهذا مستمر إلى يومنا هذا.

ولم يتأخر عن العمل في حفر الخندق أحد من المسلمين،
وأبطأ عن رسول الله ﷺ رجالٌ من المنافقين، منهم من تظاهر
بالضعف واستأذن، ومنهم من انسل خفية بغير إذن ولا علم

(١) مسند أحمد ٦ / ٢٨٩ - ٣١٥، ومسند أبي يعلى ٦ / ٢٩١ - ٢٩٢.

النبي ﷺ، بخلاف ما كان من حال المسلمين، حيث كان أحدهم إذا أراد حاجة لا بد له منها؛ يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في الحقوق بها، فإذا قضى حاجته رجع إلى مكان عمله، رغبة في الخير واحتساباً له، فأنزل الله تعالى في المنافقين والمؤمنين:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ (النور).

وقال عن المنافقين: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النور).

وكان البرد شديداً نهاراً وليلاً، والمسلمون ليس عندهم من

اللباس ما يكفيهم في نهارهم، ولا كساء يكفيهم في ليلهم، وهم يعملون في العراء، لذا كان بعضهم يتحين الفرصة للذهاب إلى أهله ليكن في البيت، وإن كان الغالب على الذاهبين من دون إذن من المنافقين.

* عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: بعثني خالي عثمان ابن مظعون لآتيه بلحاف، فأتيت النبي ﷺ فاستأذنته - وهو بالخندق - فأذن لي، وقال: «من لقيت فقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا»، أن ذلك في بردٍ شديد فخرجت، ولقيت الناس، فقلت لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا، قال: فلا والله ما عطف علىّ منهم اثنان (أو واحد)^(١).

وقد ظهرت معجزات باهرات ودلائل نبوية ساطعات، وخوارق جعل الله فيها عبرة في تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوته، وقد عاين المسلمون ذلك فازدادوا إيماناً مع إيمانهم، وثباتاً في قلوبهم، وتقوية على العمل الدؤوب، من ذلك:

(١) مجمع الزوائد / ٦ : ١٣٥ .

١ . الكُدِيَّة التي ظهرت في عرض الخندق:

الكدية هي القطعة من الجبل الصلبة الصماء.

* عن أيمن المخزومي رحمه الله قال: أتيت جابرًا رضي الله عنه، فقال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدِيَّة شديدة، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: هذه كُدِيَّة عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب (مربوط) بحجر، ولبشنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول، فضرب الكُدِيَّة، فعاد كثيرًا أهيلَ (أى انهار تحت قوة ضرباته)^(١).

٢ . صخرة سلمان رضي الله عنه:

* عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق، فشكَّوْها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ المعول، فقال: «بسم الله» فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: «الله أكبر، أُعطيت

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم / ١٢٩.

مفاتيح الشام، ووالله إنى لأُبصر قصورها الحمر من مكانى هذا»، ثم قال: «بسم الله» وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأُبصر المدائن، وأُبصر قصرها الأبيض من مكانى هذا» ثم قال: «بسم الله» وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأُبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا»^(١).

٣. شاة جابر رضي الله عنه:

ومن المواعظ الغالية فى الخندق أيضًا ما ظهر فى قصة شاة جابر رضي الله عنه حيث مر على المسلمين ثلاثة أيام وهم مشغولون بحفر الخندق لإنجازه قبل وصول الكفار المتحزبين، وتأتى العناية الإلهية مرة أخرى، لتشد من عضد المؤمنين.

* عن جابر رضي الله عنه قال: لما حُفر الخندق رأيت بالنبي صلّى الله عليه وآله خمسًا

(١) مسند أحمد ٤ / ٣٠٣، وفتح البارى ٦ / ٣٩٧، ودلائل النبوة ٣ / ٤٢١.

(أى جوعاً) شديداً، فانكفيت إلى امرأتى فقلت: هل عندك شيء؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خصاً شديداً، فأخرجت إلى جراباً فيه صاعٌ من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغى، وقطعتها في بُرمتها، ثم ولّيت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا، وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك.

فصاح النبى ﷺ: «يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً، فحى هلا بكم» فقال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلن بُرمتكم، ولا تُخبِزنَّ عجينكم حتى أجيء»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتى، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى بُرمتنا فبصق وبارك، ثم قال: «ادعى خابزة فلتخبز معك، واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها» - وهم ألف - فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه، وانصرفوا، وإن بُرمتنا لَتَغُطُّ كما هى، وإن

عجبتنا ليخبز كما هو^(١) ^(٢).

• وصول الأحزاب إلى المدينة:

ولما انتهى المسلمون من حفر الخندق، وصلت الأحزاب إلى المدينة، وكان عدد الكفار عشرة آلاف، بينما عدد المسلمين ثلاثة آلاف، والخندق بينهم.

وتهاى رسول الله ﷺ للقتال، فجعل الخندق أمامه، وجعل جبل سلع خلف ظهره، ودفع لواء المهاجرين إلى زيد ابن حارثة، ولواء الأنصار إلى سعد بن عباد، وضرب لرسول الله ﷺ قبة من آدم.

وكان بنو قريظة قد عاهدوا رسول الله ﷺ، فلما جاءت الأحزاب ومعهم النفر من اليهود يتقدمهم حُيى بن أخطب، وعرف بنو قريظة ذلك، دخلوا حصنهم ونقضوا عهدهم، فلما تيقن ﷺ من غدر يهود بنى قريظة، أرسل إليهم ﷺ سعد بن معاذ

(١) راجع معجزات النبي ﷺ عبر وعظمت، ص ١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأشربة: باب جواز استتباع غيره، رقم / ١٤١.

وسعد بن عُبادة رضي الله عنه وهما سيذا قومهما، ومعهما عبد الله بن رواحة، فأتوهم، فوجدوهم قد نقضوا العهد، فناشدوهم العهد الذي كان بينهم، ولكنهم سمعوا منهم كلامًا قبيحًا، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، فبشرهم رسول الله ﷺ بنصر الله وعونه.

واستمر رسول الله ﷺ والمسلمون قبالة عدوهم، لا يستطيعون الزوال عن مكانهم، يعتقبون خندقهم يحرسونه، واشتد الخوف، وظهر كلام المنافقين، حتى قال بعضهم كلامًا قبيحًا، من ذلك قولهم: كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر، وأن أموالهما تنفق في سبيل الله، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. وقالوا: إن بيوتنا عورة، فأذن لنا، فلنرجع إلى دورنا، فنمنع ذرارينا ونساءنا، فأنزل الله تعالى في شأن المنافقين يوم الخندق: ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۚ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يٰأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۚ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّن

أَقْطَارِهَا ثُمَّ سِئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ (الأحزاب).

واشتد الأمر، وحاول اليهود الإغارة على المدينة، لكن الله تعالى سَلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَرْسَلَ مَنْ يَحْرُسُ الْمَدِينَةَ، وَعَدَدَهُمْ خَمْسَمِائَةَ بَقِيَادَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَسَلْمَةَ بْنِ أَسْلَمِ الْأَشْهَلِيِّ رَجَعَ الْيَهُودُ عَنِ الْإِغَارَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ.

وعظم البلاء، فالكفار من خارج المدينة محيطون بها، واليهود من الداخل، والمنافقون ينسحبون ويثبطون الهمم، إضافة إلى البرد الشديد، والجوع المهلك.

وصار المشركون يتناوبون الهجوم على الخندق فيما بينهم، فيغذو أبو سفيان في أصحابه يوماً، ويغذو خالد بن الوليد يوماً، ويغذو عمرو بن العاص يوماً، ويغذو عكرمة بن أبي جهل

يومًا، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يومًا، حتى عظم البلاء،
وخاف الناس خوفًا شديدًا، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ
فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
الْحَنَاجِرَ وَنَظُّتُنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا
شَدِيدًا ۝١١﴾ (الأحزاب).

• النصرۃ الإلهية والفرج الرباني:

استمر الحصار الشديد، والضغط من الكفار على المسلمين،
والمناوشة مستمرة، لعلهم يجدون غفلة من المسلمين، ولكن
المسلمين كانوا في منتهى اليقظة والتنبه والاستعداد، وكانوا على
مستوى المسؤولية التي حملوها.

والتجأ النبي ﷺ إلى ربه تعالى بالدعاء والمناشدة والإلحاح،
واستمر على ذلك أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء إلى ما بعد
صلاة الظهر، فجاء الفرج، واستجاب الله تعالى دعاء نبيه ﷺ،
وظهر ذلك بأمرين:

١ - تشتت أمر الأحزاب، وتفريق كلمتهم، والتخاذل

بينهم، وذلك أن نعيم بن مسعود الأشجعي - من غطفان - أتى رسول الله ﷺ معلناً إسلامه، من غير علم قومه به، فقال له رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة». فأتى نعيم بنى قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بنى قريظة، قد عرفتم وُدِّي لكم، وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان، حتى يأخذوا منهم رهناً من أشrafهم، يكونون بأيديهم ثقة، حتى ينجزوه، واستكتمهم مجيئه إليهم.

ثم ذهب إلى أبي سفيان في رجال قريش، وأعلمهم أن بنى قريظة قد ندمت على ما كان منها، وأنهم أرسلوا إلى محمد ﷺ يأخذون من أشraf قريش وغطفان سبعين رجلاً يسلمونهم إليه ليضرب أعناقهم، حتى يرد بنى النضير إلى ديارهم، ويكونون معه حتى يردوا قريشاً عنه، وأشار إليهم ألا يعطوا قريظة شيئاً وسألهم كتمان أمره.

ثم ذهب إلى غطفان وأعلمهم بما أعلم به قريشاً عن بنى

قريظة، وحذرهم أن يدفعوا إليهم شيئًا.

ولما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان
عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان إلى بني قريظة،
أن يخرجوا غدًا للقتال، فقالت قريظة: إن اليوم يوم السبت،
وهم لا يعملون فيه شيئًا، وأيضًا لا يقاتلون مع قريش وغطفان
حتى يعطوهم رهنًا من رجالهم، يكونون بأيديهم حتى يناجزوا
(يقاتلوا) محمدًا ﷺ، فتحقق أبو سفيان وغطفان مما قاله نعيم،
ويئس كل منهم من الآخر، واختلف أمرهم^(١).

٢- والأمر الثاني الذي ظهرت فيه استجابة الله تعالى لنبيه
وحبيه ﷺ هو إرسال الريح الشديدة في تلك الليلة - ليلة
السبت - حيث لا يقر لهم قَدْرٌ ولا بناء، ولا يهتدى أحدهم إلى
موضع رحله.

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي ﷺ قال:

(١) دلائل النبوة، للبيهقي، (٣/٤٤٦).

«نصرت بالصَّبَا، وأهلكْتُ عادٌ بالدَّبُورِ»^(١).

الصَّبَا، بفتح الصاد المشددة: ريح يقال لها: القبول - بفتح القاف - لأنها تقابل باب الكعبة، إذ مهبُّها من مشرق الشمس، وضدُّها الدَّبُور، وهى التى أهلك بها قوم عاد.

ولما علم الله تعالى رَأْفَةَ نبيه ﷺ بقومه، رجاء أن يسلموا؛ سلط عليهم الصَّبَا، فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين، لما أصابهم بسببها من الشدة، ومع ذلك فلم تهلك منهم أحداً، ولم تستأصلهم.

فالله تعالى جلت قدرته نصر عبده ونبيه ﷺ بهذه الريح، ولهذا يقول ممتنّاً على المؤمنين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الأحزاب).

قال مجاهد^(٢): سلط الله عليهم الريح، فكفأت قدورهم،

(١) صحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، باب فى ريح الصبا والدبور، رقم / ١٧.

(٢) فتح البارى ٧ / ٤٠٢.

نزعت خيامهم، حتى أظعتهم.

• فوائد وعبر من غزوة الخندق ^(١) :

١ - كانت استجابة الله لدعاء النبي ﷺ وهو حى فى أمته،

دعماً لإيمان الصحابة وهداية لغيرهم ليدخلوا الإسلام.

٢ - المعجزات والخوارق - التى ظهرت على يدى النبى ﷺ،

كتكثير الطعام، والإخبار بالغيب، وتفتيت الصخر - فيها من

الإكرام والتأييد لرسول الله ﷺ، ما زاد الصحابة ﷺ إيماناً - مع

إيمانهم - وثبتهم فى مواقفهم، وزاد فى عزائمهم.

٣ - همة وثبات الصحابة الكرام ﷺ فى حفر الخندق وإكماله

فى ستة أيام، وصبرهم وجلدهم مع حرصهم على نبىهم ﷺ.

٤ - تمييز الله تعالى المؤمنين الصادقين، وفضح المنافقين، سواء

بما أنزل من آيات، أو بما تفوَّهوا به من عبارات كشفت

حقائقهم، أو انسحابهم من أرض المعركة عندما اشتد عليهم

(١) فضائل المدينة المنورة ٣ / ١٧٧.

البرد وزلزلوا زلزالاً شديداً، وبلغت القلوب الحناجر.

٥- نصر الله رسوله ﷺ والمؤمنين من غير قتال، وكفاهم مؤنته، ورد كيد الخائنين والمرجفين، وطرد المشركين شر طردة من أرض المعركة، والله تعالى هو الناصر، وهو الذى هزمهم؛ ليقن المؤمن أن الله على كل شىء قدير.

٦- إرسال الريح والملائكة نصراً لنبيه ﷺ، وإن كانت الملائكة لم تقاتل كما حدث فى بدر، ولكنهم قاموا بمهمة أخرى، حيث زلزلوا الكفار، وقذفوا فى قلوبهم الرعب، كما فعلوا فى بنى قريظة، وسبحان الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر: ٣١).

٧- القضاء على بنى قريظة، وهم من أقوى اليهود فى المدينة، فغنم المسلمون منهم مغانم كثيرة من السلاح والعتاد، والأموال، والأسرى، والأرض...

وكانت هذه الغنائم عوناً للمسلمين، خاصة المهاجرين، كما أعطت المسلمين قوة معنوية، ورفعت من قدرهم، فهابهم كثير

من القبائل، وأنسى المسلمون ما لاقوه من ضعف وشدة يوم الخندق.

٨- تغير ميزان القوى بعد الخندق، حيث صار المسلمون يغزون قريشًا، لا العكس، فكانت العمرة في السنة التالية، ومنعتهم قريش، فصار صلح الحديبية، الذي فتح الباب أمام المسلمين للعمرة في السنة الأخرى، ثم كان فتح مكة.

• مصير يهود بنى قريظة:

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ووضع سلاحه واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فأمره بالتوجه إلى بنى قريظة، وأخبره أن ذاهب فمززل بهم.

* عن أم المؤمنين السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام، فقال: «قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم»، قال: «فإلى أين؟» قال: «ها هنا» وأشار إلى بنى

قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم^(١).

ونادى ﷺ في المسلمين: «ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة»، فسار الناس، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي ولم يُرد منا ذلك النبي ﷺ. فلم يعنف واحدًا منهم^(٢).

وحاصر رسول الله ﷺ بنى قريظة (وهم متحصنون في حصونهم) خمسًا وعشرين ليلة، وقيل: خمسة عشر يومًا^(٣) حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب.

روى ابن هشام أن كعب بن أسد قال لليهود: لما رأى أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم

(١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب جواز قتال من نقض العهد، رقم / ٦٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب صلاة الطلب والمطلوب راجبًا وإياء، رقم / ٨٩٤.

(٣) الذي رواه ابن هشام أن مدة الحصار كانت خمسة وعشرين يومًا. وجزم ابن سعد في طبقاته أنها كانت خمسة عشر فقط.

من الأمر ما ترون، وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شتم. قالوا: فما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقته، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأبنائكم ونسائكم.

قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، قال: فهلهم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك نسلاً نخشى عليه، قالوا فما ذنب المساكين؟ قال: فإن أبيتم هذه أيضاً فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة. فأبوا ذلك أيضاً.

ثم إنهم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فيهم - وقد كانت بنو قريظة حلفاء للأوس - فأحب رسول الله ﷺ أن يكل الحكم عليهم إلى واحد من رؤساء الأوسيين، فجعل الحكم فيهم إلى

سعد بن معاذ، وكان قد أصيب بسهم في الخندق فكان يُداوَى في خيمة هناك. فلما حكّمه رسول الله ﷺ في بنى قريظة وأرسل إليه بذلك، أتى على حمار.

فلما دنا من المسجد ^(١) قال للأنصار: قوموا إلى سيدكم - أو خيركم - ثم قال: إن هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم. فقال له النبي ﷺ: قضيت بحكم الله تعالى ^(٢).

ثم قال سعد ﷺ: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، اللهم فإنني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقى من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها، واجعل موتى فيها. فانفجر

(١) ليس المراد به مسجد رسول الله ﷺ في المدينة، بل مكان اختطه ﷺ في بنى قريظة للصلاة فكان مسجداً، كما قال شراح الحديث.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الاستئذان، باب قول النبي ﷺ: قوموا إلى سيدكم، رقم / ٥٧٩١.

جرحه ونزف دمًا فمات منه سعد رضي الله عنه^(١). وفي رواية أحمد أن جرحه حينما انفجر كان قد برأ إلا مثل الخرص (حلية توضع في الأذن)، أى: إلا شيئًا يسيرًا قد بقى منه.

ثم استنزل اليهود من حصونهم فسيقوا إلى خنادق في المدينة، فقتل مقاتلتهم (أى رجالهم) وسبى ذراريهم. وكان في جملة من سيق إلى القتل فقتل: حبي بن أخطب الذى كان قد سعى حتى أقنع بنى قريظة بالغدر ونقض العهد. روى ابن إسحاق أنه جىء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدها مجموعتان إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخَذَّل، ثم جلس فضربت عنقه^(٢).

٤. مسجد القبلتين:

شهد هذا المسجد المبارك صلاة العصر جماعة - على

(١) صحيح البخارى، كتاب المغازى، باب مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من الأحزاب، رقم / ٣٨٩٦.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤١).

الراجع - نصفها الأول إلى قبلة المسجد الأقصى، ونصفها الثاني إلى الكعبة المشرفة، والراجع عند أهل العلم أن إمام المصلين في هذه الصلاة لم يكن رسول الله ﷺ، فقد صلى النبي ﷺ بالناس إلى القبلة الجديدة صلاة الظهر بمسجده ﷺ، ثم جاء رجلٌ ممن صلى خلفه ﷺ إلى قباء فوجدهم يصلون العصر، فأخبرهم أنه صلى خلف رسول الله ﷺ إلى الكعبة: فتحول الإمام وتحول الناس خلفه في مسجد القبلتين، من قبلة المسجد الأقصى إلى قبلة الكعبة المشرفة.

* عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يُوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى نَقْلُكُمْ وَجْهَكُمْ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٤).

فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس، وهم اليهود:

﴿ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ ﴾ (البقرة: ١٤٢).

فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعد ما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر يصلون - نحو بيت المقدس - فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم، حتى توجهوا نحو الكعبة^(١).

وهناك مساجد أخرى لكن لا يتيسر زيارتها، وبعضها لم يبق لها أثر؛ فاكتفى بذكر أسمائها هنا، ومن أراد بياناً وتفصيلاً ففي المصادر ما يغنيه ويكفيه، وهذه المساجد هي:

١ - مسجد الجمعة.

٢ - مسجد الإجابة.

٣ - مسجد الميقات.

٤ - مسجد بنى الأشهل.

٥ - مسجد المصلى «الغمامة».

٦ - مسجد أبى ذر (مسجد السجدة).

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب تحويل القبلة، رقم / ١٢.

٧- مسجد البغلة (بنى ظفر).

٨- مسجد بنى قريظة.

٩- مسجد الفضيح (الشمس).

١٠- مسجد السقيا.

١١- مسجد بنى زريق.

البقيع

مقبرة أهل المدينة، ويقع بجوار المسجد النبوى الشريف جهة الجنوب الشرقى. وسمى بقيع الغرقد لأن شجر الغرقد كان ينمو به، وأول من دفن بالبقيع هو عثمان بن مظعون رضي الله عنه وهو أول رجل مات من المهاجرين^(١).

وأول من دفن فى البقيع من الأنصار هو: أسعد بن زرارة، ثم تلاحت قبور الأنصار والمهاجرين حتى قيل: دفن فى البقيع

(١) أسد الغابة، ٣/ ٤٩٥، الإصابة ١/ ٥٥.

عشرة آلاف صحابى ﷺ أجمعين.

وكان النبى ﷺ يكثر من زيارة أهل البقيع.

* عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»^(١).

وقد ورد فى صحيح السنة النبوية المطهرة أن الله تعالى أمر نبيه أن يزور أهل البقيع وأن يستغفر لهم.

* عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: ألا أحدثكم عنى وعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: بلى، قالت: لما كانت ليلتى التى كان النبى ﷺ فيها عندى، انقلب، فوضع رداءه، وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظنّ أنى قد رقدت، فأخذ رداءه

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب ما يقال عند دخول المقابر والدعاء لأهلها، رقم/ ١٠٢.

رويدًا، وانتعل رويدًا، وفتح الباب، فخرج، ثم أجافه رويدًا
(أى فتحه ببطء)، فجعلت درعى فى رأسى، واختمرت،
وتقنعت إزارى، ثم انطلقت فى إثره، حتى جاء البقيع، فقام،
فأطال القيام، ثم رفع يده ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت،
فأسرع، فأسرعت، فهرول، فهرولت، فأحضر، فأحضرت
فسبقته، فدخلتُ، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل.

فقال: «ما لك يا عائش حشيا رابية؟» (أى منقطعة الأنفاس
تنهج من شدة الجرى)، قالت: قلت: لا شىء، قال: «لتُخبرينى
أو ليخبرنى اللطيف الخبير». قالت: قلت: يا رسول الله - بأبى
أنت وأمى - فأخبرته.

قال: «فأنت السواد الذى رأيت أمامى؟» قلت: نعم.
فلهدنى (أى: ضربنى) فى صدرى لهدّة أوجعتنى. ثم قال:
«أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟».

قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله. قال: «فإن جبريل أتانى
حين رأيت. فنادانى، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيتك منك، ولم

يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشى، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم.

قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولى: السلام على أهل الديار المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(١). وأهل البقيع أول أهل المقابر حشرًا بعد سيدنا رسول الله ﷺ وسيدنا أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما.

* عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم أتى أهل البقيع فيحشرون معى، ثم أنتظر أهل مكة، فأحشر بين الحرمين»^(٢).

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول المقابر والدعاء لأهلها، رقم / ١٠٣.

(٢) سنن الترمذى: كتاب المناقب، باب فى مناقب عمر بن الخطاب ؓ، رقم / ٣٦٩٢.

يضاف إلى ما سبق أن أهل البقيع سيشفع لهم رسول الله ﷺ؛
لثبوت شفاعة النبي ﷺ لمن مات بالمدينة المنورة. وينبغي للمؤمن
أن يستحضر في عقله وقلبه عند الزيارة أن بالبقيع الأنصار
الذين آووا ونصروا رسول الله ﷺ وجاهدوا في الله حق جهاده،
فزكاهم الله في قرآنه وأثنى عليهم النبي ﷺ في سنته.
وأن بالبقيع المهاجرين الذين ضحوا بأموالهم وأهلهم
وبلدهم في سبيل الله، وفي سبيل التمكين لدين الله ﷻ.
وأن بالبقيع الصحابة الكرام الذين قال النبي ﷺ فيهم: «الله
الله في أصحابي»^(١). وقال ﷺ: «النجوم أمانة السماء، فإذا ذهب
النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا أنا ذهب
أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب
أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»^(٢).

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، رقم/ ٣٨٦٢.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب فضل الصحابة
والتابعين، رقم/ ٧٢٤٩.

فرضى الله عنهم وجزاهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء،
وألحقنا بهم مؤمنين صالحين. وارزقنا يا ربنا شهادة في سبيلك،
ودفنًا بالبقيع في رحاب الحبيب المصطفى ﷺ.
• انظر صورة البقيع رقم (٥) بملحق الصور.



البيع

جبل أحد

سمى بذلك لتوحيده وانقطاعه عن جبال آخر هنالك، وكان النبي ﷺ يحب الاسم الحسن، وأحد مشتق من الوجدانية، وكان ﷺ يحب الوتر في شأنه كله، فوافق ذلك اسم جبل أحد.

* عن أنس رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أحد فقال: «إن أحداً جبل يحبنا ونحبه»^(١).

ولا غرابة في حمل حب أحد للنبي ﷺ ولأمته على الحقيقة، ويشهد لذلك حنين الجذع شوقاً لرسول الله ﷺ كما مر بنا، وتسبيح الحصى في يده ﷺ، فشوق الجهادات لرسول الله ﷺ حاصل، متواتر، كما أثبت القرآن الخشية والخشوع للجهادات؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٧٤)، وقال أيضاً: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤)، وقال أيضاً: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب أحد جبل يحبنا ويحبه، رقم / ٥٠٤.

لَرَأَيْتُهُ خَشِيعًا مُتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ (الحشر).

وهناك آراء أخرى لبعض العلماء ولكنها مرجوحة بالرأى
السابق ذكره. والله أعلم.

وقد ثبت أن جبل أحد اضطرب تحت النبي ﷺ ومعه أبو بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم فضربه النبي ﷺ برجله، وقال: «اثْبُتْ أَحَدٌ،
فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَان»^(١).

• انظر منظر جبل أحد رقم (٦) بملحق الصور.

(١) صحيح البخارى: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا
خليلاً، ٤ / ٢٠٠.



جبل أحد

• شهداء أحد:

من أعظم الدروس في تاريخ الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله تلك التي قدمها شهداء أحد، وقد أنزل الله في شأنهم ستين آية من سورة آل عمران، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران) إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٩).
ولشهداء أحد مكانة خاصة وإليك بيانها في الأحاديث الشريفة التالية:

* عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟» فإذا أشير إلى أحد، قَدَّمه في اللحد وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصلّ عليهم ولم يغسلوا^(١).

(١) صحيح البخارى: كتاب المغازى، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، ٥ / ٣٩.

* عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ نريد قبور الشهداء، إذا أشرفنا على حرة واقم، فلما تدلينا منها، فإذا قبور بمخينة، فقلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه؟ قال: «هذه قبور أصحابنا» فلما جئنا قبور الشهداء، قال: «هذه قبور إخواننا»^(١)، وفي هذا دلالة على زيارة النبي ﷺ لهم.

• الملائكة تغسل بعض شهداء أحد:

* عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر، بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن حرب، حين علاه شداد بن الأسود (بن شعوب) بالسيف فقتله ﷺ في رواية السراج: فلما استعلى حنظلة، رآه شداد بن شعوب، فعلاه بالسيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سفيان ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم تغسله الملائكة، فاسألوا صاحبتة؟» فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة (أى: الصباح والضجة) وهو جنب، فقال رسول

(١) سنن أبي داود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم / ٢٠٤٣.

الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة»^(١).

* عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: لقينى رسول الله ﷺ فقال لى: «يا جابر ما لى أراك منكسراً؟» قلت: يا رسول الله، استشهد أبى؛ قتل يوم أحد وترك عيلاً وديناً، قال: «أفلا أبشرك بمالقى الله به أباك؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيى أباك، فكلمه كفاحاً، فقال: يا عبدى تمنّ علىّ أعطك، قال: يا رب تُحيينى فأقتل فيك ثانية، قال الرب ﷻ: إنه قد سبق منى ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣١) (يس)، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٣٢) (آل عمران)^(٢).

وقوله ﷺ: «كفاحاً» أى: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول. والله أعلم.

(١) المستدرک ٣ / ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) سنن الترمذی: کتاب تفسیر القرآن: من سورة آل عمران، رقم / ٣٠١٠.

• ومن الدروس المستفادة من هذه الغزوة:

١ - ترك الرماة لمواقعهم من تلقاء أنفسهم، والتخلي عن دورهم ومهمتهم، وانشغالهم بجمع الغنائم، كان من أكبر الأسباب التي حولت نصر المسلمين في بداية غزوة أحد إلى هزيمة، وهذه نتيجة مخالفة هديه ﷺ.

٢ - خطورة الشائعات على الأمة، فما من شك في أن إشاعة المشركين أن رسول الله ﷺ قتل قد أثر في المسلمين وأربك صفوفهم وفرقهم، وبلغ عدد شهداء أحد حوالى السبعين - على أرجح الأقوال - على رأسهم سيدنا حمزة عم رسول الله ﷺ، وسيدنا مصعب بن عمير الذى فتح المدينة بالقرآن.

٣ - درس التماسك والثبات أمام الشدائد وعدم الانهيار. وذلك لما أرسل إليهم أبو سفيان بن حرب أنه سيرجع إليهم بعد حشد الحشود كي يستأصلهم عن آخرهم فلما بلغتهم الرسالة قالوا كما قص القرآن علينا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴿آل عمران﴾. ورجع أبو سفيان ولم يجارهم.

٤- فضل القرآن الكريم، حيث كان يقدم النبي في اللحد الأكثر أخذًا للقرآن.

أخى المؤمن:

هل عرفت الآن أين أنت؟! هل استشعرت جلال اللحظة؟! هل أدركت شرف هذه البقاع؟! هل نشطت همتك أن تقتدى بحبيبك المصطفى وتجدد البيعة؟! هل غلبك الشوق إلى أن تكون كالصحابه الكرام ﷺ في حب النبي ﷺ والتأسي به، ونصرة الدين وإقامته؟! هل عرفت؟ هل أدركت؟! هل استشعرت؟!

أعرفت أنك بالمدينة؟! (١)

أعرفت أنك بالمدينة ترتعُ	تتنفس الذكرى الحبيبة تقتدى؟
أعرفت أنك في مدينة أحمد	ساد الخليقة عُرْبها والأعجما
وكانَّ أذُنك تصغين لصوته	بالأمر والنهي الإلهي معلماً
وتخال نفسك والصلاة مقامة	أصبحت مأموماً لأحمد مثلاً
صلى بأعجاز الرجال بعصره	صلى عليه مَنْ بَرَّاه وسلَّمَا
وإذا جلست بروضة من جنة	تغدو بجنتك الأخيرة حليماً
أعرفت أنك بالمدينة عندما	تُلقي التحية للرسول مُ. سَلِّمَا
وعلى رفيق الغار نام بجنبه	وعلى معز الدين ساعة أسلما
فتقول نَعَمْ الصاحبان ترافقا	في قبر خير الخلق قلها مقسما
رَغِمَ الألى سبوا صَحَابَ نبينا	والأمهات فبُس قولا ظالما
أحباب رب العرش هم أحبابنا	والله يجزى رافضاً أو ناقما

(١) فضائل سيده البلدان / ١١٣ .

أُعرفت أنك بالمدينة عندما	طافت بخاطرك الأمانى هائما
ترجو مجيئك كى تفوز بنظرة	من نوره فرأيت ركبك قادما
وإذا رجاؤك قد تحقق حينما	أَلْفَيْتَ نفسك ساجداً أو قائما
فى مسجد ضم النبى وصحبه	وجلسهم جبريل حزت الأنعماء
أو بعد هذا تستبىح حبيبةً	عند الإله تكون عبداً آثما
يا درة الإسلام طيبى خاطراً	سترين من يؤذيك يوماً نادما
فكما بدأت يعود مجدك ثانياً	ويكون حكمك فى البرية حاسما

فى

رحاب مكة المكرمة

مكة المكرمة

• أسماؤها:

لمكة أسماء كثيرة تدل على علو منزلتها وعظيم شأنها، أهمها تلك التى وردت فى آيات القرآن الكريم، وهى:

١. ومعنى مكة: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ﴾ (الفتح: ٢٤).

(مكة) فاشتقاقها - كما ذهب الخليل - من قولهم: تَمَكَّكْتُ العَظْمَ، أى أخرجتُ حُجَّه؛ سُمِّيت بذلك لأنها وسط الأرض كالمخ الذى هو أصل ما فى العظم.

وذهب بعض العلماء إلى أنها مشتقة من: مَكَّ الفَصِيلُ ضَرَعُ أُمَّةٍ وَتَمَكَّكَهُ، أى امتصَّ جميع ما فيه وشربه كله^(١).

٢. ومعنى بكة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران).

(١) انظر: مفردات الأصفهاني، اللسان، تهذيب اللغة (م ك ك).

واشتقاق بكّة فيه أقوال:

* أنها سُمّيت بذلك لأنّها تَبْكُ أعناق الجبابرة إذا أُلحدوا فيها بظلم.

* أو لأنّ الناس يتباكُّون (يتزاحمون) فيها ويأتون إليها من كل وجه.

* أو لأنّ الحجاج يتباكُّون (يتزاحمون) ويتدافعون في أثناء الطواف، وهذا الوجه يرجّح أن المراد ببكّة: موضع البيت الحرام.

* وقيل إنّ بكّة هي مكّة بإبدال الميم باء، كما في قولهم: سَبَدَ رأسه وسَمَدَ رأسه، وضربة لازب ولازم^(١).

تلك هي الأوجه اللغوية لاشتقاق اللفظين.

أمّا في القرآن الكريم فقد ورد لفظ (بكّة) في قول الله ﷻ:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾
(آل عمران).

(١) انظر هذه الأوجه في: اللسان (ب ك ك)، مفردات الأصفهاني (ب ك ت).

وجاء لفظ (مكة) في قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (الفتح: ٢٤).
وتدلنا الآيتان الكريمتان على أن كلا اللفظين (بكة - مكة)
عَلِمَ على أم القرى ومهبط الوحي شَرَفَهَا اللهُ ﷻ.
لكن الاستعمال القرآني للفظين قد راعى التدرُّج التاريخي في
استعمال الكلمتين علماً على أم القرى، قال العلامة الشيخ
الطاهر بن عاشور في هذا الصدد بعد أن ساق بعض أقول
العلماء في الاسمين: "والظاهر عندي أن (بكة) اسم بمعنى
البلدة وضعه إبراهيم عليه السلام علماً على المكان الذي عِيَنَهُ لِسُكْنَى
ولده بنيَّة أن يكون بلدًا، فيكون أصله من اللغة الكلدانية لغة
إبراهيم عليه السلام، ألا ترى أنهم سَمَّوْا مَدِينَةَ "بعلبك" أي: بلد بعل،
وهو معبود الكلدانيين. ومن إعجاز القرآن اختيار هذا اللفظ
عند ذكر كونه أوَّل بيت، فلا حَظَّ أيضًا الاسم الأول" (١).

(١) التحرير والتنوير ٦ / ٢٢ - ٢٣.

والذى ذهب إليه الشيخ الطاهر هو ما نُرجّحه؛ لاستناده إلى التركيب اللغوى لكلمة (بكة) التى تعادل المقطع (بك) أى بلدة أو مدينة، كما فى (بعلبك) أى بلدة بعل معبود الكلدانيين. ونخلص ممّا سبق إلى أنّ (بكة) هى الاسم القديم، ثم أُبدلت الباء ميماً فى الاسم الحديث فصارت (مكة)، واستقر هذا الاسم الجديد علماً على أمّ القرى.

لكن القرآن لمّا ذكر أولويّة البيت الحرام وكونه أوّل بيت مقدّس، ناسب ذلك ذكر الاسم القديم، ولمّا تعرّض القرآن للوقائع الحديثة كما فى آية الفتح التى تقص وقائع فتح مكة، جاء بالاسم العربى الذى استقر علماً على أمّ القرى.

٣. أم القرى: قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى: ٧).

٤. القرية: قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف).

٥. البلد الأمين: قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (التين).

٦. البلد: قال الله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) (البلد).

٧. البلدة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا﴾ (النمل: ٩١).

٨. معاد: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥).

• فضائل مكة المكرمة:

جعل الله مكة حرماً آمناً؛ وفي هذا تعظيم لشأنها ورفعها لقدرها، قال سبحانه وتعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٩٧).

وهذا التحريم يشمل مكة كلها إلى الحدود التي ينتهي عندها الحرم، وتلك الحدود وضعها نبي الله الخليل إبراهيم عليه السلام

بتوجيه من جبريل عليه السلام.

وقد نصبت على هذه الحدود أعلام في جهات خمس، وهذه الأعلام عبارة عن أحجار مرتفعة قدر متر منصوبة على جانبي كل طريق، وهي كالتالي:

١ - حد الحرم المكي من جهة الشمال: التنعيم، وبينه وبين مكة ٦ كيلو مترات.

٢ - حد الحرم المكي من جهة الجنوب: أضاه، بينها وبين مكة ١٢ كيلو مترًا.

٣ - حد الحرم المكي من جهة الشرق: الجعرانة، بينها وبين مكة ١٦ كيلو مترًا.

٤ - حد الحرم المكي من جهة الشمال الشرقي: وادي نخلة، وبينه وبين مكة ١٤ كيلو مترًا.

٥ - حد الحرم المكي من جهة الغرب: الشميسي، بينها وبين مكة ١٥ كيلو مترًا.

ويترتب على تحريم مكة الأمور الفقهية التالية:

١ . تحريم صيدها:

فصيد الحرم (مكة) حرام على المُحَرِّم وغير المحرم، ويستثنى من ذلك خمسة أصناف (الفواسق)، وسيأتي بيانها.

٢ . تحريم لقطتها^(١):

فلقطة الحرم (مكة) لا يجوز أخذها إلا للحفظ والتعريف، قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله، لا يُعْصَد شوكه، (أى: لا يقطع شجره) ولا يُنْفَر صيده، ولا تُلتقط لقطته إلا من عَرَفَها»، ونهى النبي ﷺ عن لقطة الحاج، فربما عاد الحاج إلى موضعه مرة أخرى فوجد لقطته.

٣ . تحريم قطع شجرها:

فشجر الحرم وحشيشه يحرم قطعه على المحرم وغير المحرم، ومذهب مالك فيمن قطع شيئاً من شجره فعليه بالاستغفار، في

(١) اللقطة: الشيء الملتقط الذى سقط من صاحبه، فالتقطه، أى: أخذه من وجده. والمقصود بتحريم اللقطة: الانتفاع بها لغير صاحبها.

حين يوجب الشافعي وأبو حنيفة الفدية (بقرة عن الشجرة الكبيرة، وشاة عن الشجرة الصغيرة عند الشافعي).
أما ما يغرسه الناس من الزرع والبقول والرياحين ونحوه،
فمباح قطعه والاستفادة به دون فدية ولا استغفار.
كذلك يجوز رعى الإبل والماشية في أعشاب مكة، وأيضاً
يجوز أخذ الأعشاب للدواء.

٤. تحريم القتال بمكة:

لقوله ﷺ: ﴿وَلَا تُقْنِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾
(البقرة: ١٩١). وخطب النبي ﷺ الناس يوم الفتح فقال: «إن
مكة حرمها الله، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن
يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرًا، فإن أحد ترخص في قتال
فيها، فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن له
ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها أمس»^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، رقم / ٣٣٧٠.

وهذا العموم يستثنى منه قتال البغاة والمعتدين؛ حيث يُقاتلون على بغيهم، إذا لم يمكن ردهم عن بغيهم إلا بالقتال، وهو رأى جمهور الفقهاء.

واستثنى من القتل أيضاً الفواسق الخمس.

قال ﷺ: «خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور»^(١).

ومعنى الكلب العقور: كل ما عقر الناس وأخافهم، وعدا عليهم، مثل الأسد، والنمر، والفهد، والذئب.

ومعنى فواسق هنا: أن هذه الخمس خرجت عن الحكم العام من حرمة القتل، وليس المقصود المعنى الشرعى للفسق: (الفساد والمعصية).

٥. تغليظ العقوبة على ارتكاب الجنايات في حرم مكة:

حيث تغلظ الدية على من ارتكب جناية القتل بالحرم.

(١) صحيح البخارى، كتاب الإحصار وجزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب، رقم / ١٧٣١.

٦. النهى عن حمل السلاح بمكة إلا لضرورة أو حاجة:

قال النبي ﷺ: «لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة»^(١).

ويخرج عن هذا النهى حمل السلاح لحفظ الأمن وحماية الناس، وهذا خاص بأولى الأمر والقائمين على رعاية أمور أمن البلاد.

٧. تحريم دخول المشركين إلى مكة:

لقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٨) (التوبة).

والمراد بالمسجد الحرام في الآية: الحرم كله، يشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب النهى عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة، رقم/ ٢٤١٦.

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ ﴿١﴾ (الإسراء: ١)؛ فقد أسرى
برسول الله ﷺ من بيت أم هانئ أو من بيت خديجة وكلاهما
خارج المسجد.

٨. العقاب على الهم بالسيئة في الحرم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ
بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ (الحج).

٩. الدجال لا يدخل مكة:

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد
إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلا
عليه الملائكة حافين يحرسونها».

١٠. لا يدخلها من أراد الحج أو العمرة إلا محرماً.

المسجد الحرام

• فضائله:

١. هو أول بيت وضع للناس في الأرض:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران).

٢. الحسنات فيه مضاعفة:

فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة، قال ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»^(١).

٣. السيئات فيه مضاعفة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ يُظَلِّمْ نُدْقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج).

(١) مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله، رقم/ ١٤٧٣٥.

٤ . تحيته الطواف:

تحية المسجد الحرام الطواف، على خلاف بقية المساجد، فتحياتها صلاة ركعتين.

٥ . الدعاء فيه مستجاب:

يُستحب أن ينوي المسلم الاعتكاف كلما دخل المسجد الحرام، ولو لحظة، ليدخل في فضل الله في الآية: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتَ اللَّطَّافِينَ وَالْعَكْفِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودِ﴾ (البقرة).

٦ . يستحب لأهل مكة صلاة العيد فيه، لا في الصحراء:

هذا بالإضافة إلى الفضائل الأخرى المتعلقة بما في الحرم من مقدسات لها خصوصيتها: (الكعبة المشرفة، الحجر الأسود، الركن اليماني، حجر إسماعيل، مقام إبراهيم، زمزم، الصفا، المروة.. وغيرها). وسيأتى بيانها.

الكعبة المشرفة

بناء مكعب مجوف من الداخل، تكرر بناؤها على مر الزمان، وأود أن نركز الاهتمام على بناء قريش للكعبة قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنين، لما تعرضت الكعبة لحريق بسبب اشتعال أستار الكعبة أثناء تجميرها (تبخيرها) مما أدى إلى هدم بعضها، ودخلتها السيول، فعزمت قريش على بنائها، فكشفت قريش أساس الكعبة الذي وضعه نبي الله إبراهيم عليه السلام فلما عزموا على البناء حسبوا ما جمعوه من نفقة حلال تخلو من مال الربا، فوجدوه لا يفي لبناء الكعبة على القواعد التي وضعها نبي الله إبراهيم عليه السلام، فنقصوا من عرضها ست أذرع وشبرا من جهة حجر إسماعيل، وحدث أثناء بناء قريش للكعبة اختلاف القبائل على وضع الحجر، وحكم رسول الله ﷺ في وضع الحجر، وسوف يأتي بيانه عند الحديث عن الحجر الأسود، وبعد البعثة أقر النبي ﷺ هذا البناء.

* عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ أخذها إلى الكعبة، وعَرَّفَهَا أن الكعبة قد انتقص من طولها من جهة حجر إسماعيل، ثم قال النبى ﷺ: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت البيت فبنيته على أساس إبراهيم»^(١).

وهنا عبرة غالية، نتعلمها من رسول الله ﷺ فى تقدير الواقع ورعاية حال المتلقى، وهذا من حكمته ﷺ فى الدعوة إلى الله ﷻ، التى حرص على تعليم أصحابه إياها، حتى قال على ؓ: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!»^(٢).

وهذا درس للمصلحين والدعاة والمربين. ولعل ما سبق يفسر لنا بوضوح سبب الطواف حول حجر إسماعيل مع الكعبة، حيث إن الحجر جزء من الكعبة.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم / ٣٣٠٤.

(٢) صحيح البخارى، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم / ١٢٧.

• سِدنة الكعبة :

هم جماعة من بنى شيبه يتوارثون خدمة الكعبة بأمر رسول الله ﷺ، وقصة ذلك أن النبي ﷺ في فتح مكة، دخل البيت وطاف، ثم دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، فأمر بها ففتحت، فدخلها ﷺ وطهرها مما بها من مظاهر الشرك والكفر، ثم جلس النبي ﷺ في المسجد، فقام إليه علي رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة؟ فدعى له، فقال له: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء»^(١).

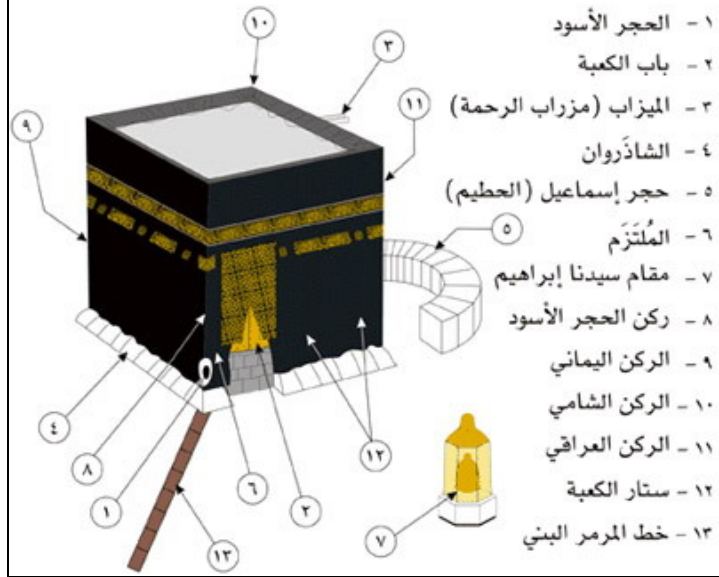
وفي رواية أنه قال له حين دفع المفتاح له: «خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف»^(٢).

(١) السيرة النبوية لابن كثير، (٣/ ٥٧٠).

(٢) أسد الغابة، (٢/ ٢٤٧).

ونزل في هذا الموقف قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).
• انظر الرسم التوضيحي رقم (٧) لمعالم الكعبة المشرفة
بملحق الصور.

الكعبة المشرفة (قبلة المسلمين)



الحجر الأسود

يوجد الحجر الأسود في ركن الكعبة الشرقى القريب من باب الكعبة، وهو على ارتفاع متر واحد ونصف المتر من أرض المطاف، ومحاط بإطار فضى من الخارج، ولا يظهر منه شيء الآن حيث يغطى بطبقة من عجين الشمع والمسك والعنبر ونحو ذلك، وقد وضعه في هذا الموضع نبي الله إبراهيم عليه السلام ليكون علامة بداية للطواف حول الكعبة.

روى الأزرقى أن سيدنا محمدًا ﷺ كان آخر من وضعه من الأنبياء، وذلك حين جددت قريش بناء الكعبة، ثم اختلفوا فيمن يضع الحجر حتى كاد أن ينشب بينهم قتال بالسيوف، فقالوا: اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب، فدخل رسول الله ﷺ؛ فقالوا: هذا الأمين، فأمر النبي ﷺ بثوب فبسط، ثم وضع الحجر فيه، ثم قال: ليأخذ من كل قبيلة رجلٌ من ناحية الثوب، ثم رفعوه، ثم أخذه النبي ﷺ فوضعه، وكان هذا

قبل بعثته بخمس سنين في يوم الاثنين.

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستُنبىء يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، ورَفَعَ الحجر الأسود يوم الاثنين»^(١).

• فضائل الحجر الأسود:

١. الحجر الأسود نزل من الجنة:

* لقول النبي ﷺ: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة»^(٢)، وهذا ثابت عند أهل السنة والجماعة دون خلاف.
تنبيه: إذا أطلق لفظ «الركن» فالمقصود: الحجر الأسود، فالركن، والركن الأسود، والحجر الأسود، كلها بمعنى واحد.
* وفي رواية البيهقي: «ولولا ما مَسَّهما من خطايا بنى آدم

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن العباس، رقم / ٢٥٠٦.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب الحج، باب فضل مكة، رقم / ٣٧١٠.

لأضياء ما بين المشرق والمغرب، وما مَسَّها من ذى عاهة ولا سقيم إلا شفى»^(١).

* وأخرج الترمذى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن، فسودته خطايا بنى آدم»^(٢).

* وروى الأزرقى عن وهب بن مُنبه أن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أخبره أن النبى ﷺ قال لعائشة - رضى الله عنها - وهى تطوف معه بالكعبة حين استلم الركن:

«لولا ما طُبِع على هذا الحجر يا عائشة من أرجاس الجاهلية وأنجاسها، إذا لاسْتُشْفى به من كل عاهة، وإذا لأُلْفى اليوم كهيئته يوم أنزله الله ﷻ، وليُعِيدَنَّهُ إلى ما خلقه أول مرة، وإنه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة، ولكن الله سبحانه وتعالى غَيَّرَه

(١) السنن الكبرى للبيهقى، كتاب الحج، باب ما ورد فى الحجر الأسود، رقم/٩٤٩٦.

(٢) سنن الترمذى، كتاب الصوم، باب فضل الحجر الأسود والركن والمقام، رقم/٨٧٧.

بمعصية العاصين، وسَتَرَ زينته عن الظَّلَمَة والآثمين، لأنه لا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء كان بدؤه من الجنة»^(١).

٢. الحجر الأسود يمين الله في الأرض:

فقد روى الأزرقى وابن عمر بإسناد صحيح عن ابن عباس -رضى الله عنهما-: «إن هذا الركن يمين الله في الأرض يصفح به عباده مصافحة الرجل أخاه».

والمعنى - والله أعلم - : ما يتنزل بسبب تقبيل الحجر أو الإشارة إليه من فضل الله ورحمته وواسع مغفرته، ويشهد لهذا المعنى ما رواه ابن ماجه عن حميد بن أبى سوية رضي الله عنه قال: سمعت ابن هشام يسأل عطاء بن أبى رباح عن الركن اليماني وهو يطوف بالبيت، فقال عطاء: حدثني أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَكَلَّ به سبعون ملكًا، فمن قال: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» قالوا: آمين.

(١) أخبار مكة للفكهاني، (١/٩٣).

فلما بلغ الركن الأسود قال: يا أبا محمد ما بلغك عن هذا الركن الأسود؟ فقال عطاء: حدثني أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من فاوضه فإنما يفاوض يد الرحمن»^(١). ومعنى فاوضه: أى صافحه.

٣. الحجر الأسود يشهد لمن استلمه:

* فقد أخرج ابن خزيمة في صحيحه، والحاكم في مستدركه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «يأتى الركن يوم القيامة أعظم من أبى قُبَيْسٍ، له لسان وشفطان يتكلم عَمَّن استلمه بالنية، وهو يمين الله يصافح بها خلقه»^(٢).

استلمه: لمسه بيده أو قلبه.

وأبو قبيس: جبل بمكة المكرمة.

(١) سنن ابن اماج، كتاب المناسك، رقم / ٢٩٥٧.

(٢) صحيح ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب ذكر الدليل على أن النبي ﷺ إنما أراد بذكره الركن في هذا الخبر نفس الحجر الأسود، رقم / ١٦٧٠.

• **عند الحجر الأسود تُسكَب العَبَرَات وتستجاب الدعوات:**

فقد أخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: «استقبل النبي ﷺ الحجر، ثم وضع شفتيه عليه، يبكى طويلاً، ثم التفت؛ فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكى، فقال: يا عمر ها هنا تسكب العبرات»^(١).

• **فقه استلام الحجر:**

الرغبة فيما عند الله من فضل ورحمة ومغفرة باستلام الحجر، تجعل كثيراً من الحجاج والمعتمرين والزوار يتزاحمون على الحجر، وقد يصل الأمر إلى المدافعة التى تلحق الأذى بالضعفاء والنساء وكبار السن، فضلاً عن ذهاب السكينة والخشوع الذى ينبغى لمثل هذه العبادة العظيمة. وربما ظن بعضهم جهلاً أن فوات استلام الحجر يؤثر على حجه أو عمرته أو زيارته. والرجوع إلى فعل المصطفى سيدنا محمد ﷺ (أعبد خلق الله

(١) المستدرک للحاکم، کتاب المناسک، رقم/ ١٦٧٠.

لله، أتقانا لله وأخشانا له، الأسوة والقُدوة التى أمرنا الله أن نتبعها) يصحح الموقف.

لقد بيّن النبي ﷺ أن تقبيل الحجر واستلامه سنة، والمدافعة وإيذاء الغير جناية وذنب، ثم إن النبي ﷺ طاف بالبيت على بعير، وكان كلما أتى الركن أشار إليه. وإن كان هذا فى حق الرجال، فما بال النساء، إن عائشة - رضى الله عنها - أم المؤمنين وقُدوة النساء كانت لا ترى استلام الحجر إلا عند خُلُوه، وكانت تزجر من كانت تزاحم من أجل استلام الحجر.

* أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن عمر بن الخطاب ؓ أن النبي ﷺ قال له: «يا عمر إنك رجل قوى، لا تزاحم على الحجر، فتؤذى الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله وهلل وكبر»^(١).

فليحذر المسلم من المزاحمة والمدافعة عند الحجر، فقد يلحقه إثم بسبب المزاحمة أكثر مما يجنيه من الثواب.

(١) مسند أحمد، مسند عمر بن الخطاب، رقم / ١٩٠.

ولا ينسى المسلم أنه في عبادة ينبغي أن يكون حاله فيها السكينة والخشوع، أما عن الدعاء عند الحجر الأسود، عند استلامه أو عند الإشارة إليه، فحسب المسلم ما ورد من صحيح السنة، من ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير، كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده، وكبر» (١). ولما سأل الصحابة رسول الله ﷺ: يا رسول الله، كيف نقول إذا استلمنا الحجر؟ قال ﷺ: «قولوا: باسم الله والله أكبر، إيماناً بالله وتصديقاً بما جاء به رسول الله ﷺ» (٢).

الركن اليماني

هو الركن الجنوبي الغربي من الكعبة المشرفة، والركن اليماني والركن الأسود (الذي به الحجر الأسود) كلاهما على

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التكبير عند الركن، رقم / ١٥٣٥ .

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي، (٧ / ٢١٤) .

القواعد الأولى للبيت، التي رفعها نبي الله إبراهيم عليه السلام والمشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢).

بخلاف الركنين جهة حجر إسماعيل فليسا على قواعد سيدنا إبراهيم عليه السلام. وسمى الركن اليماني نسبة إلى اليمن؛ حيث هو من جهتها.

ويُكشف جزء منه كي يتمكن الطائف من استلامه (أى: مسحه بالكفين) اقتداء برسول الله ﷺ؛ فقد أخرج البخارى - رحمه الله - فى صحيحه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان لا يستلم إلا الحجر والركن اليماني، وذلك يكون فى كل مرة من مرات الطواف السبع.

* فقد ورد فى حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه قال: «لم أرَ النبى ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين»^(١).

(١) صحيح البخارى: ٥٨٣ / ٢.

مع ملاحظة أدب ذلك في استلام الحجر، وإذا لم يتمكن
الطائف من استلام الركن اليماني فالأرجح ألا يشير إليه.

حجر إسماعيل عليه السلام

هو الجزء الموجود على شكل نصف دائرة شمال الكعبة، وهو
بوضعه الحالي يشتمل على ستة أذرع من الكعبة.

ومن فضائله أن من صلى فيه كمن صلى داخل الكعبة، لما
روى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لو كنت أحب أن
أدخل البيت (أى الكعبة) فأصلى فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي
فأدخلني الحجر، فقال: صلّ فيه إن أردت دخول البيت، فإنها
هو قطعة من البيت»^(١).

ويسمى حجر إسماعيل أيضاً: الخطيم. ويطلق الخطيم على
موضعين، هم:

(١) سنن الترمذى: ٣ / ٢٢٥ وقال حديث حسن صحيح.

١. ما بين الركن والباب (أى على الملتزم).

٢. حجر إسماعيل.

الملتزم

ويطلق عليه الحطيم أيضًا، وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، وسمى بالملتزم لأن الناس يلتزمون به ويدعون عنده، وهو من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد وضع وجهه وصدره وذراعيه وكفيه بالملتزم.

* أخرج أبو داود في سننه أن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - طاف ثم استلم الحجر، وأقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه، وبسطهما بسطًا، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل^(١).

(١) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب الملتزم، رقم / ١٩٠١.

ومما ذكر الأزرقي في فضل الملتزم بسنده أن آدم عليه السلام طاف سبعا بالبيت حين نزل إلى الأرض، ثم صلى أمام الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم؛ فقال: «اللهم إنك تعلم سريرتي وعلايتي فاقبل معذرتي، وتعلم ما في نفسي وما عندي، فاغفر لي ذنوبي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، اللهم إنني أسألك إيمانا يباشر قلبي، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي، والرضا بما قضيت عليّ» فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم قد دعوتني بدعوات واستجب لك، ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه، وكففت عن ضيعته ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدھا^(١). قال: فمنذ طاف آدم كانت سنة الطواف.

(١) أخبار مكة للأزرقي، ص ٣٢.

مقام إبراهيم عليه السلام

«المقام» بفتح الميم من «قام يقوم»: موضع القيام، أما «المقام» بضم الميم فهو من «أقام يقيم».

والمقصود بمقام إبراهيم: الحجر الذى قام عليه نبي الله إبراهيم عليه السلام حين ارتفع بناؤه للبيت، فاستعان بذلك الحجر، يقف عليه ويبنى.

وفى هذا الحجر أثر قدمى إبراهيم الخليل، حيث جعل الله هذا الحجر تحت قدمى نبي الله إبراهيم، فى رطوبة الطين حتى غاصت قدماه فيه، ليكون آية ظاهرة، وهو الحجر الموجود اليوم فى المقصورة الزجاجية الشفافة، حيث تُرى من خلالها هيئة القدمين بوضوح.

• فضائله:

١. أن الله أمر المسلمين بالصلاة خلفه، قال تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥).

* جاء في السنة أن رسول الله ﷺ مر بالمقام ومعه عمر، فقال: يا رسول الله، أليس هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: بلى. قال: أفلا تتخذه مُصلى؟ قال: فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(١).

٢. أن المقام نزل مع الحجر الأسود من الجنة، وقد سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك، فهذا الحجر الذى كان يقف عليه نبي الله إبراهيم ﷺ كلما ارتفع البنيان ليتمكن من البناء. وكان يعلو بنبي الله ﷺ حتى أذن في الناس بالحج^(٢). وقد أراد ربك أن يجعله علامة باقية لهذه المعجزة، فجعل قدمي نبي الله الخليل إبراهيم ﷺ تغوصان فيه؛ لتبقى العظة والعبرة... وإن الله على كل شيء قدير. فالمكان كله أسرار وعظمت: من الحجر الأسود، ومن الأمر بذبح إسماعيل، ومن

(١) مسند ابن الجعد، (١/ ٣٧٠)، رقم / ٢٥٤٤.

(٢) البحر المحيط، شرح المنهاج، السيرة الحلبية، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

أمر زمزم.. وغيرها، وكلها أمور تجاوزت حدود الأسباب إلى قدرة كن فيكون، آمنا بالله رب العالمين.

• **فقهه وبيان بشأن الصلاة خلف المقام:**

كثيرًا ما ترى الناس يتزاحمون للصلاة خلف المقام قريبًا منه، ظنًا أن خلف المقام مقصور على ما كان قريبًا منه من الخلف، وقد أشار العلماء إلى أن كل المسجد الحرام خلف المقام في أوقات الزحام وبخاصة في أثناء الحج.

ومن هنا وجب أن نفسح المجال للطائفتين بالتأخر حسب الحاجة، وإتاحة الفرصة لحركة الطواف، ومن يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، والله تعالى أجل وأعلم.

• انظر صورة مقام إبراهيم رقم (٨) بملحق الصور.



مقام إبراهيم

زمزم

تلك الآية العظيمة في بيت الله الحرام، والتي كانت جانباً من فضل الله تعالى إجابة لدعاء نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧) (إبراهيم).

ماؤها خير ماء، كله أسرار وبركات، يمر عليها الزمان، وتتوالى آلاف السنين دون أن ينضب ماؤها، إن الله على كل شيء قدير، اللهم زدنا إيماناً وتصديقاً.

• قصة زمزم:

من يستعرض أحداث هذه القصة وما يتبعها ويرتبط بها من أحداث ومعجزات؛ يظهر له بوضوح أن أوامر الله تعالى غالية أغلى من النفس، ومن المال ومن الولد ومن الزوج، كما يظهر للمتأمل في قصة زمزم أن شأن المؤمن المسارعة في

الاستجابة لأمر الله تعالى من فعل الخيرات وترك المنكرات.
كما يظهر أيضًا للمتدبر لقصة زمزم أن من عَظَّمَ أوامر الله
تعالى وقدمها على حظ نفسه وهوى قلبه، عَظَّمَ الله شأنه، ورفع
الله منزلته، ونال من إكرام الله تعالى فوق ما يريد من حيث لا
يحتسب.

إن قصة زمزم درس عظيم في حسن الإيثار بالله ﷻ وصدق
التوكل على الله تعالى، وفيها حكم وأسرار وبركات وأنوار لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر.

وإليك أخى المؤمن القصة بألفاظها العطرة، كما وردت على
لسان الذى لا ينطق عن الهوى سيدنا محمد ﷺ، وكما أخرجها
البخارى فى صحيحه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال:
جاء إبراهيم ﷺ بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهى تُرضعه،
حتى وضعها عند البيت، عند دوحة (أى: شجرة) فوق زمزم
فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعها
هناك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء به ماء، ثم قَفَى

إبراهيم منطلقًا - أى توحه راجعًا من حيث أتى - فتبعته أم إسماعيل؛ فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء؟! فقالت له ذلك مرارًا.

وجعل لا يلتفت إليها، قالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيئنا. ثم رجعت، فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ حتى بلغ ﴿يَشْكُرُونَ﴾.

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما فى السقاء، عطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف ذراعيها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود (أى: المتعب) حتى

جاوزت الوادى، ثم أتت المروة فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحداً. ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - قال النبى ﷺ: «فذلك سعى الناس بينهما»، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضاً؛ فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هى بذلك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال: بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول (أى: تصنع) بيدها هكذا، وجعلت تغرف الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف (وفى رواية: بقدر ما تغرف).

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - قال النبى ﷺ: «رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً»، قال: فشربت، وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض

كالرابية تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُمْ، أو أهل بيت من جُرْهُمْ مقبلين عن طريق كَدَاءٍ، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفًا (أى: حائثًا على الماء) فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لَعَهْدُنَا بهذا الوادى وما فيه ماء !! فأرسلوا جَرِيًّا (أى: رسولاً) أو جَرِيَيْنِ. فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم فى الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبى ﷺ: «فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، وهى تحب الأُنثى - فنزلوا - فأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كانوا بها أهل أبياتٍ، وشب الغلام، وتعلَّم العريية منهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يُعالج تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغى لنا - وفى رواية: يصيد لنا - ثم سألها عن عيشهم وعيشتهم،

فقلت: نحن بشرٌ، نحن فى ضيق وشقاء، وشكت إليه، قال:
فإذا جاء زوجك، اقرأى عليه السلام، وقولى له يغىّر عتبه بابه.
فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟
قلت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك، فأخبرته،
فسألنى: كيف عيشنا، فأخبرته أنا فى جهد وشدة، قال: فهل
أوصاك بشىء؟ قالت: نعم، أمرنى أن أقرأ عليك السلام
ويقول: غيّر عتبه بابك، قال: ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك،
الحقى بأهلك. فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم
إبراهيم ما شاء ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته،
فسأل عنه، قالت: خرج يبتغى لنا، قال: كيف أنتم، وسألها عن
عیشانهم وهيتهم، فقلت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله
تعالى، فقال: ما طعامك؟ فقلت: اللحم. قال: فما شربكم؟
قلت: الماء، قال: اللهم بارك لهم فى البحر والماء، قال النبى ﷺ:
«ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ولو كان لهم لدعا لهم فيه».
وفى رواية: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقلت امرأته: ذهب

يصيد، فقالت امرأته: ألا تنزل، فتطعم وتشرب؟ قال: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم، وشرابنا الماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم. قال: فقال أبو القاسم عليه السلام: «بركة دعوة إبراهيم عليه السلام» قال: فإذا جاء زوجك، فاقرئني عليه السلام ومريه يُثبَّت عتبة بيته، فلما جاء إسماعيل، هل أتاكم من أحد؟ فقالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيكل، وأثنت عليه؛ فسألني عنك، فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بيتك. قال: هذا أبى، وأنت العتبة، أمرنى أن أمسكك.

ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه، قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالوليد، والولد بالوالد فقال: يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك؟ قال: وتعيننى؟ قال: وأعينك، فقال: فإن الله أمرنى أن نبني بيتاً هاهنا، وأشار إلى

أَكَمَّةً مَرْتَفَعَةً (أى: صخرة ضخمة) على ما حولها، فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة، وإبراهيم يبنى حتى ارتفع البنيان، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة) (١).

• زمزم وعبد المطلب جد النبي ﷺ:

روى الأزرقى من طريق ابن إسحاق عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يُحدث حديث زمزم حين أُمِرَ عبد المطلب بحفرها قال: قال عبد المطلب: إنى لنائم فى الحجر - حجر إسماعيل - إذ أتانى آتٍ فقال: احفر طيبة، قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عنى، فرجعت إلى مضجعى، فمنت فيه، فجاءنى؛ فقال: احفر برة، فقال: قلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عنى. فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعى، فمنت فيه، فجاءنى قائلاً: احفر زمزم، قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا

(١) صحيح البخارى، كتاب الأنبياء، باب يزفون، رقم / ٣١٨٤، ٣١٨٥.

تُنَزَفُ أَبَدًا وَلَا تُدَمُّ، تَسْقَى الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ.

قال: فلما أبان له شأنها، ودُلَّ على موضعها، وعرف أنه قد
صُدِّق، غدا بمَعْوَله، ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له
يومئذ ولد غيره.

حتى إذا شق على عبد المطلب الحفر واشتد عليه الأذى، نذر
إن وفى الله له بناء زمزم ووفى له عشرة من الولد أن ينحر
أحدهم، فأتم بناء زمزم، ثم تزوج عبد المطلب النساء، فولد له
عشرة رهط فأقرع بينهم، فطارت القرعة على عبد المطلب،
وكان أحبَّ ولده إليه، فقال عبد المطلب: اللهم أهو أحب إليك
أم مائة من الإبل؟ ثم أقرع بينه وبين المائة من الإبل،
فكانت القرعة على المائة من الإبل، فنحرها عبد المطلب^(١).

وهكذا، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ويحفظ الله
تعالى والد رسول الله ﷺ عن أن يذبح، ويُفدى بمائة من الإبل،
لتتحقق إرادة الله تعالى، وليكون عبد الله بن عبد المطلب سبيًا

(١) أخبار مكة للأزرقي، (٢/ ٢٢٩).

لولادة سيدنا محمد ﷺ، الرحمة المهداة من الله تعالى للعالمين.

• فضائل ماء زمزم:

١. ماء زمزم من الجنة:

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال النبي ﷺ: «فإنها من عيون الجنة»^(١).

ومعنى أن الروضة من الجنة، وأن الحجر الأسود من الجنة، وأن المقام من الجنة، وأن ماء زمزم من الجنة، والله أعلم: أن الحديث في شأن هذه الأمور والمقدسات المباركة يجرى مجرى التمثيل للمبالغة في تعظيم شأنها، لما فيه من الخير والبركة والكرامة، ولما يتأتى بسببها من فضل الله في الدنيا من بركات، وفي الآخرة من دخول الجنة.

٢. ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم:

أى أنها تُشبع شاربها وتكون سبباً لشفائه من الأمراض.

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الطهارة، باب في الفأرة والدجاجة، رقم / ١٧٣٤.

* قال رسول الله ﷺ: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء السقم»^(١).

* وأخرج البزار بإسناد صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «زمزم طعام طعم، وشفاء سقم»^(٢).

٣. ماء زمزم لما شرب له:

* أخرج ابن ماجه في سننه عن جابر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ماء زمزم لما شرب له»^(٣).

* وزاد الحاكم في المستدرک من طريق ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً: «فإن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه»^(٤).

ويقول الحكيم الترمذی: وهذا جارٍ للعباد على مقاصدهم

(١) المعجم الأوسط للطبرانی، باب من اسمه على، رقم/ ٣٩١٢.

(٢) مسند البزار، مسند أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، رقم/ ٣٩٢٩.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، رقم/ ٣٠٦٢.

(٤) المستدرک للحاکم، (١/ ٤٧٣)، رقم/ ١٧٤٠.

وصدقهم في تلك المقاصد والنيات، لأن المؤمن إذا رابه أمر
فشأنه الفزع إلى ربه، فإذا فزع إليه واستغاث به وجد غياثاً،
وإنما ينال العبد على قدر نيته.

٤. شرب ماء زمزم عبادة:

فقد نَصَّ الأحناف والمالكية والشافعية على استحباب شرب
ماء زمزم للحاج والمعتمر عند الفراغ من الطواف بالبيت وقبل
السعى.

٥. ماء زمزم غُسل به قلب النبي ﷺ بواسطة جبريل:

* أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه
فصرعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقه،
فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب
بماء زمزم، ثم لأمَّه (أى: ضمه كما كان)، ثم أعاده في مكانه،
وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (مرضعته) فقالوا: إن محمداً قد

قُتِلَ، فاستقبلوه وهو منتقع (أى: متغير) اللون^(١).

٦. ماء زمزم نال بركة النبي ﷺ:

قد جعل الله لريق المصطفى ﷺ بركات، فكم شُفِيَ به من مرض، وكم نال به الصحابة من قوة وبركة ونماء، من ذلك ما حدث مع الإمام على يوم غزوة خيبر حين اشتكى عينيه.

* أخرج البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد ؓ عن رسول الله ﷺ قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه (وفى رواية له أيضاً: رجلاً يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله). فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كل منهم يرجو أن يُعطاهَا.

فقال ﷺ: «أين على بن أبى طالب؟» فقالوا: يشتكى عينيه يا رسول الله. قال ﷺ: «فأرسلوا إليه، فأتوني به».

فلما جاء، بصق فى عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم / ٤٣١.

وجع، فأعطاه الراية...»^(١).

ومن ذلك أن ريقه الشريف ﷺ بركة ظاهرة في تكثير الماء الذى يكفى المئات بل الألوف، كما تم ذلك فى غزوة الحديبية.

* روى البخارى فى صحيحه عن البراء ﷺ قال: «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبى ﷺ على شفير (حافة) البئر، فدعا بماء، فمضمض، ومج فى البئر، فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا، ورويت (أو صدرت) ركائبنا»^(٢).

* وفى رواية له أيضاً من حديث جابر قال ﷺ: «لو كنا مائة ألف لكفانا»^(٣).

(١) صحيح البخارى، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب على بن أبى طالب، رقم/ ٣٧٠١.

(٢) صحيح البخارى، كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام، رقم/ ٣٣٨٤.

(٣) صحيح البخارى، كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام، رقم/ ٣٣٨٣.

وغير ذلك الكثير من بركات ريقه الشريف ﷺ.
وقد نالت زمزم بريق المصطفى ﷺ البركة لتعم كل من شرب
من ماء زمزم إلى أن تقوم الساعة.
* أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:
«جاء النبي ﷺ إلى زمزم، فنزعنا له دلوًا، فشرب، ثم مسح فيها،
ثم أفرغناها في زمزم»^(١).
المج: إرسال الماء من الفم مع النفخ.
وبهذا يُعلم أن بركة ريقه ﷺ حلّت على زمزم، فازدادت زمزم
بركة على بركة.

• آداب شرب ماء زمزم:

أرشد الفقهاء إلى آداب سبعة عند شرب ماء زمزم، تأسيًا
برسول الله ﷺ:
١. استقبال القبلة.

(١) مسند أحمد، مسند بنى هاشم، مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عن
النبي ﷺ، رقم/ ٣٥٢٧.

٢. الشرب على ثلاثة أنفاس.
٣. التسمية عند الشرب.
٤. حمد الله عند الانتهاء من الشرب.
٥. الإكثار من ماء زمزم والشرب حتى الارتواء.
٦. الدعاء عند الشرب.
٧. الشرب باليد اليمنى.

وهذه الآداب مستنبطة من فعله ﷺ، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنا مع رسول الله ﷺ في صُفَّة زمزم، فأمر بدلو فُنزعت له من البئر، فوضعها على شفة البئر ثم وضع يده من تحت الدلو، ثم قال: «باسم الله»، ثم كرع فيها، فأطال، وهو دون الأول، ثم رفع رأسه فقال: «الحمد لله»، ثم كرع فيها، فقال: «باسم الله»، فأطال، وهو دون الثاني، ثم رفع رأسه، فقال: «الحمد لله»، ثم قال ﷺ: «علامة ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم»^(١).

(١) المعجم الكبير للطبراني، رقم / ١٠٦١١.

وأما تعليم ابن عباس - رضى الله عنهما - للرجل، فعن عبد الله بن أبي مُليكة قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: من أين جئت؟ فقال: شربت من ماء زمزم. فقال له ابن عباس: أشربت منها كما ينبغي؟

قال: وكيف ذلك يا ابن عباس؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة، واذكر اسم الله، وتنفس ثلاثاً، وتضلع منها، فإذا فرغت، فاحمد الله ﷻ، فإن رسول الله ﷺ قال: «آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم»^(١).

• حمل ماء زمزم إلى الآفاق:

أخرج الترمذى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله، وقد نصَّ على استحباب نقله من مكة وحمله والتزود منه فقهاء المذاهب الأربعة (جاء ذلك في مواهب الجليل وحاشية ابن عابدين). وجاء من أخبار السلف الصالح ﷺ أنهم كانوا يحملون ماء

(١) سنن الدارقطنى، كتاب الحج، رقم / ٢٧٦٩.

زمزم خارج مكة إلى بيوتهم، وبلادهم، وفضيلة ماء زمزم
حاصلة - إن شاء الله - في موضعه وفي غير موضعه، لأن فضله
لعيّنه، لا لأجل البقعة التي هو فيها، وإلا لما حمله رسول الله ﷺ
والصحابه الكرام والتابعون لهم.

الصفاء والمروة

• الصفاء:

هو جزء من جبل أبى قبيس، ويقع الآن داخل المسجد
الحرام من جهة الجنوب عند باب الصفاء.

• المروة:

هو جزء من جبل قُعيّعان، قُباله الصفاء بالمسجد الحرام من
جهة الشمال عند باب المروة، وأصبح الآن ممهدًا.
والمسافة بين الصفاء والمروة هي السعى، وطوله (٤٠٥ م)
أربعمئة متر وخمسة أمتار.

• سبب نزول آية الصفا والمروة:

كان في الجاهلية على الصفا وثن يسمى (إساف) وعلى المروة وثن آخر يسمى (نائلة) وكان العرب في الجاهلية إذا طافوا بالبيت جاءوا إلى هذين الوثنيين (إساف، ونائلة) وتمسحوا بهما، فتخرج المسلمون عن السعى بين الصفا والمروة لما كان من أمر هذين الصنمين وتمسح المشركين بهما؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٨).

* وروى جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ لما دنا من الصفا؛ قرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، ثم قال: أبدأ بما بدأ الله به. فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره، وقال: «لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»، ثم دعا بين ذلك؛ فقال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى انصبت قدماه في بطن الوادى، حتى إذا صعدنا مشى حتى

أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا^(١).

• عبر وعظات بين الصفا والمروة:

السعى بين الصفا والمروة يذكرنا بسعى السيدة هاجر - أم نبي الله إسماعيل عليه السلام - بينهما في طلب الماء، فعلت ذلك سبع مرات، وقال النبي ﷺ: «فذلك سعى الناس بينهما»^(٢).

وبعد السعى كان الفرج من الله تعالى، وكانت زمزم من حيث لا تحتسب هاجر، وهذا درس للمؤمن في الاجتهاد والسعى وسع الطاقة، أما النتائج فهي على الله ﻻ ﻳَـﺨْـﺪَﻩُ.

• انظر صورة الصفا والمروة رقم (٩) بملحق الصور.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم/٢١٣٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، رقم/٣١١٣.



الصف والمروة

غار حراء وغار ثور

غار حراء:

• فضله:

فيه كان يخلو النبي ﷺ قبل البعثة يتعبد لربه بعيداً عن مكة وما بها من صخب ونصب.

وفيه نزل الوحي على سيدنا محمد ﷺ بأول آية في القرآن:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العلق).

فمنه بدأت النبوة والرسالة ولحظة الميلاد الأولى لخير أمة أخرجت للناس.

• وصفه:

الغار عبارة عن فجوة بابها جهة الشمال، ويسع الغار نحو خمسة أشخاص جلوساً، وارتفاعه نصف قامة الإنسان متوسط الطول تقريباً.

• **موقعه :**

يقع على جبل حراء الذى يطلق عليه أيضًا جبل النور، فى شمال مكة على يسار الذهاب إلى عرفات، وقبل أن يعلو البناء ويمتد العمران كان الجالس فيه يرى الكعبة واضحة.

• انظر صورة غار حراء رقم (١٠) بملحق الصور.



غار حراء

غار ثور:

• فضله :

في هذا الغار اختبأ النبي ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه أثناء الهجرة إلى المدينة، وحدثت آيات ومعجزات في هذا الغار، منها: أن الله أمر الحمام أن يبيض على باب الغار، وأمر العنكبوت أن تنسج بيتاً على بابه، وصرف الله أبصار الكفار عن النبي ﷺ وجاء ذكر هذا الغار في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظُنُّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة).

• موقعه :

يقع الغار في جبل ثور وهو جبل أكبر من حراء، والغار عبارة عن صخرة مجوفة في قمة الجبل لها فئحتان.

• عبر وعظات فى الغار:

ينبغى أن يمر المؤمن بهذه البقاع الشريفة متأملاً حال رسول الله ﷺ من السعى وسع الطاقة فى سبيل إقامة دين الله ﷻ ونشر الإسلام.

فما بال المسلمين اليوم لا يتأسون بنبيهم ﷺ ويريدون أن تحل مشاكلهم، وأن تحقق آمالهم بعضاً سحرية من عالم الغيب، دون جهاد أو عمل.

ونسى المسلمون ان الله تعالى كما أمرنا بالإيمان بالغيب، فقد أمرنا بالأخذ بالأسباب، فجعل فعل السبب طاعة وترك السبب معصية، والاعتماد على السبب شرك بالله تعالى.

• انظر صورة غار ثور رقم (١١) بملحق الصور.

اللهم ردنا إلى الحق والصواب رداً جميلاً.



غار ثور

دار الأرقم

• الأرقم:

صحابي من السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا وتوفي سنة (٥٢ هـ). كانت له دار بمكة على الصفا، فلما أسلم جعلها وقفًا للمسلمين، وكان النبي ﷺ يجلس فيها بعيدًا عن عيون قريش، يدعو فيها للإسلام سرًا، وقد أسلم في دار الأرقم كثير من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد هدمت بسبب التوسعات المتوالية للحرم المكي الشريف.

• مقبرة مكة المكرمة:

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال عن مقبرة مكة: «نعم المقبرة هذه»^(١).

دفن فيها عشرات الصحابة رضي الله عنهم، ودفن فيها أسماء بنت أبي بكر الصديق، والسيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها -

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار، (١/٤٤٨٩).

أولى زوجات النبي ﷺ، وما زالت هذه المقبرة موجودة،
ويتمكن الزائر لمكة من زيارتها، والدعاء لمن دفنوا بها.

عرفات

عرفة أرض مستوية أصبحت مزروعة بالأشجار، طولها
ميلان وعرضها كذلك، تحيط بها سلسلة من الجبال، ولها حدود
معلومة محددة بلافتات واضحة، وتقع على بعد حوالى ٢٥ كم
من المسجد الحرام، أى تقع فى الحل.
وعلى أرض عرفة (الوحيدة بين أماكن مناسك الحج) يجتمع
الحجيج فى وقت واحد.

• سبب التسمية:

ذكر اهل العلم أسباباً عديدة لتسمية هذه البقعة المباركة
بـ «عرفات»، أهمها:

١ - لأن الناس يتعارفون عليها.

- ٢- لأن جبريل عليه السلام عرّف سيدنا إبراهيم عليه السلام المناسك فوقها، فكان يُريه المشاهد، فيقول له: أعرفت؟ أعرفت؟ فيقول نبي الله إبراهيم عليه السلام: عرفت، عرفت.
- ٣- لأن سيدنا آدم عليه السلام لما هبط من الجنة وكان من فراقه حواء ما كان، فلقيها في ذلك الموضع فعرفها وعرفته.
- ٤- لأنها بقعة مقدسة معظّمة لما ينزل فيها من الرحمات والمغفرة وواسع فضل الله يوم وقفة عرفات على الحجيج، فكانها عُرِّفت أى طُيِّبت.

• فضائل عرفة:

- ١- هى الركن الركين فى الحج، لقوله ﷺ: «الحج عرفة»^(١). فمن لم يوجد داخل حدود عرفات يوم عرفة ولو للحظة بطل حجه كله.
- ٢- الدعاء فيها مستجاب، أخرج الإمام مالك فى الموطأ أن النبى ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا

(١) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر، رقم/ ٣٠١٥.

والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»^(١).

٣- عموم المغفرة للحجيج بأرض عرفة: قال النبي ﷺ: «ما رُئِيَ الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيب منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزيل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام»^(٢).

• انظر منظر عام لعرفات رقم (١٢) بملحق الصور.

(١) موطأ الإمام مالك، كتاب الحج، باب جامع الحج، رقم/ ١٥٩٨.

(٢) موطأ الإمام مالك، كتاب الحج، باب جامع الحج، رقم/ ٩٤٤.



جبل عرفات

• جبل الرحمة:

هو جبل صغير يتوسط أرض عرفات، في أسفله صخرات مفترشات وقف عندها النبي ﷺ في حجة الوداع، وقال ﷺ فيها أخرج الإمام مسلم في صحيحه: «وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف»^(١).

• من فقه عرفات:

التأمل لمزية اجتماع الحجيج في وقت واحد على أرض عرفة يستشعر تماسك الأمة، وللمؤمن أن يتساءل عن السر وراء هذا الجمع بين جنسيات تباعدت، وقوميات اختلفت وألسنة تباينت؟

إنه الإيمان الذي يؤلف بين القلوب الشاردة، ويحرك القلوب الغافلة لتستجيب إلى خالقها.

إنه الإيمان الذي تسقط أمامه كل الرايات الزائفة.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف، رقم/ ١٤٩.

فمتى ندرك هذا المعنى ليتخلى المسلمون عن تفرقهم
وتمزقهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.. ؟
لقد أصاب الوهن من حب الدنيا وكراهية الموت (كراهية
لقاء الله تعالى) فأصبحنا فريسة سهلة تتكالب عليها الأمم
وتتسابق على نهب أموالها وثرواتها.
على أرض عرفة ينبغي أن نتعلم كيف تلتحم الأمة، وكيف
تتخلى عن التعالى والتفاخر، فملابس الإحرام رداء كالأكفان،
والجميع في تضرع وخشوع ودعاء.
لقد ألغى الإسلام مساوئ الطبقة والتميز التي كانت عند
العرب في الجاهلية، حيث كانت قريش تقف بالمزدلفة دون
الناس حيث يقفون بعرفات، فجاء الإسلام وألغى هذه الطبقة
وهذا التميز؛ حيث أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يقف بعرفات ثم
يفيض منها، قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ
أَفْكَرَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة).
(البقرة).

• أين وعى الأمة بدورها؟؟

ومن العجيب المؤلم أن ترى كثيراً من الحجيج على أرض عرفات يتسامرون بلغو الحديث، وربما وصل الأمر إلى الغيبة والنميمة، بدلاً من الاشتغال بما جاءوا من أجله من ذكر ودعاء، وتأمل وتدبر فيما يرتبط بهذا الموقف العظيم من عبّر وعظات.

اللهم رُدِّنا إلى الإيمان رُدًّا جميلاً.

ما أحوجنا إلى استرجاع المنهج المحمدي لحياة الأمة في خطبة الرسول ﷺ على أرض عرفات.

• انظر منظر جبل الرحمة رقم (١٣) بملحق الصور.



جبل الرحمة

خطبة حجة الوداع

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ
بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ
له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أوصيكم - عباد الله - بتقوى الله، وأحثكم على طاعته،
وأستفتح بالذي هو خير.

أما بعد، أيها الناس: اسمعوا مني أئين لكم، فإنني لا أدرى
لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا.

أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم
إلى أن تلقوا ربكم؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في
بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.
وإن ربا الجاهلية موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم
لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبدأ به
ربا عمى العباس بن عبد المطلب.
وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن
ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.
وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية.
والعمد قود، وشبه العمد، ما قُتل بالعصا والحجر، وفيه
مائة بغير. فمن زاد فهو من أهل الجاهلية. ألا هل بلغت ؟
اللهم فاشهد.

أما بعد: أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم
هذه، ولكنه قد رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك. مما تحقرون من
أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْكِرُونَهُ عَامًا لِيُوَاطَعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا

مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﷻ (التوبة: ٣٧). ويحرموا ما أحلى الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات وواحدٌ فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضر، الذى بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أما بعد: أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق: لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً. ألا هل بلغت، اللهم

فاشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ ما لأخيه إلا
عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.
فلا ترجعنّ بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني
تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة
نبيه. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. كلكم لأدم؛
وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على
عجمي فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد. قالوا:
نعم. قال: فليبلغ الشاهدُ الغائب.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من
الميراث، ولا يجوز لوارث وصية. ولا يجوز وصية في أكثر من
الثلاث. والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادّعى إلى غير أبيه
أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا
يُقبل منه صرفٌ ولا عدل. والسلام عليكم.

المزدلفة

موضع بين عرفة ومنى، طولها أربعة آلاف وثلثمائة وسبعون مترًا (٤٣٧ م)، ويطلق عليها أيضًا: جمع؛ لاجتماع الناس بها. وذكر أهل العلم أسبابًا عديدة لتسميتها بالمزدلفة؛ أهمها:

١ - لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات، فالازدلاف: الدنو، والتقدم.

٢ - لاجتماع الناس، وأيضًا لأنهم يجمعون بين المغرب والعشاء فيها، ومن معانى الازدلاف: الجمع، والاجتماع.

٣ - لأن الناس فيها تتقرب إلى الله تعالى بالدعاء والذكر، ومن معانى الازدلاف: التقرب إلى الله، ومنه قول النبي ﷺ لمصعب بن عمير رضي الله عنه: «فإذا زالت الشمس فازدلف إلى الله بركعتين...».

أى: تقرب.

والمزدلفة تجمع كل هذه المعاني، وفيها كل هذه الدلالات.

المشعر الحرام

هو المكان المسمى (قزح) ووقف عنده النبي ﷺ فدعا ربه
استجابة لأمر الله تعالى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا
أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾
(البقرة: ١٩٨).

وقد تم بناء مسجد كبير في هذا الموضع. وقد وضح
النبي ﷺ أن المزدلفة كلها موقف باستثناء وادي مُحَسَّر، لقوله ﷺ:
«.. ووقفت ها هنا وجمع كلها موقف»^(١).

والمقصود بـ «جمع»: المزدلفة.

• انظر صورة المسجد الذي بنى بالمشعر الحرام رقم (١٤)
بملحق الصور.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها مواقف، رقم/ ١٤٩.



مسجد المشعر الحرام

وادی محسر

هو طريق ضيق بين جبلين بين مزدلفة ومنى، وطوله حوالى ٥٠٠ م. وهذا الموضع أسرع فيه النبى ﷺ السير حين مرَّ به فى طريقه إلى منى.

ويستحب للحاج الإسراع فى الخروج منه تأسيًا برسول الله ﷺ.

وذكر العلماء سبب الإسراع فى هذا أنه نزل به عذاب الله بأصحاب الفيل حين جاءوا لهدم الكعبة المشرفة، فأرسل عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ سِجِيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾ (الفيل).

وسبب تسميته بوادى محسر أن الفيل حسر فيه، أى أعيى وانقطع عن الذهاب.. أعاذنا الله ووقانا.

منى

سميت بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء، أى يُراق، لأن الهدى يُنحر بها.

والمسافة بين منى والمسجد الحرام ٧ كيلومترات، وعن طريق الأنفاق ٤ كيلو مترات.

وحدُّ منى من جهة مكة جمرة العقبة، ومن جهة المزدلفة وادى محسر.

ونزلت بمنى سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ (الكوثر).
وأقام النبي ﷺ بمنى يوم التروية (الثامن من ذى الحجة) وأيام التشريق الثلاثة ولياليها (الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر من ذى الحجة).

وفى منى أمر الله الحجاج بالذكر، قال الله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا

اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴿٢٠٣﴾ (البقرة: ٢٠٣).

• قصة الجمرات:

تقع الجمرات الثلاثة: الصغرى، والوسطى، والكبرى (جمرة العقبة) بمنى.

وأصلها كما روى البيهقي، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : أن النبي ﷺ قال: «لما أتى إبراهيم المناسك، عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض». قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : «الشيطان ترجهون، وملة أبيكم تتبعون»^(١).

(١) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الحج، باب ما جاء في بدء الرمي، رقم / ٩٩٧٥.

• جمرة العقبة وبيعة العقبة :

على بعد نصف كيلو متر (٥٠٠ م) من الجمرة الكبرى كان لقاء النبي ﷺ برهط من الخزرج من الأنصار في موسم الحج في الجاهلية، حيث دعاهم للإسلام، وكانت بيعة العقبة الأولى، وكان عدد الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً، بايعوا النبي ﷺ على الإيمان بالله وبرسوله، والتعفف عن السرقة والزنا وقتل الأولاد، والطاعة في الخير والمعروف.

وبعث معهم النبي ﷺ مصعب بن عمير ﷺ ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في أمور الدين، هناك في المدينة المنورة، ونزل ضيفاً على أسعد بن زرارة ﷺ.

وفي العام المقبل كانت بيعة العقبة الثانية في نفس موضع البيعة الأولى، حيث عاد مصعب مع جمع من أهل المدينة، وبعد مضي ثلث الليل اجتمعوا وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من النساء، فبايعوا النبي ﷺ، وطلبوا منه أن يظل معهم، وأن لا يرجع إلى قومه، فوعدهم النبي ﷺ بذلك وقال لهم ﷺ: «أنا

منكم وأنتم مني»^(١).

واختار النبي ﷺ منهم اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج
وثلاثة من الأوس.

• موعظة:

ليتنا نتعلم الدرس حين نمر بهذه البقاع، ونتخذ رسول
الله ﷺ قدوة في السعي لتحقيق المقاصد، والوصول إلى الهدف،
ومهما اشتدت بنا الأزمات فلا نستسلم أو يصيبنا إحباط، لقد
طُردَ النبي ﷺ وأوذى من أهل الطائف، وحاربه أهل مكة،
وضيقوا على أصحابه، وعاملوهم بالإيذاء والسخرية والتجويع
والقتل.. وعلى الرغم من كل هذا فإن رسول الله ﷺ يعلمنا أن
لا نفقد الأمل، يعلمنا ألا ننهار في أوقات الشدائد، يعلمنا أن
نسعى مهما كانت النتائج قليلة، فأول الغيث قطر ثم ينهمر.

• خيالات الناس في رمي الجمار:

(١) مسند الإمام أحمد، مسند الكثيرين، حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه،
رقم / ١٥٨٣٦.

للناس خيالات في رمى الجمار تبعدهم عن المقصود من هذه
العبادة، وهو تدريب العبد على التسليم لأمر الله تعالى، فالله
تعالى خالق العقل، وقد يعجز العقل، وكثيراً ما يعجز عن
الوصول لحكمة أمر من الأوامر الإلهية الثابتة في القرآن
وصحيح السنة النبوية المطهرة، فهل يعطل الإنسان أمراً من
أوامر الله لأنه لم يصل بعقله إلى الحكمة من هذا الأمر؟ أم يسلم
إلى خالقه؟ إن أحدنا يسلم أمره في مرض ما إلى طبيبه، فإذا
سأله: لماذا تأخذ هذا الدواء؟ أجاب: لأن الطبيب وصفه لي.
وهكذا في كل مجال من مجالات الحياة يسلم الإنسان إلى من هو
أكثر علماً وخبرة، فكيف بالإنسان لا يسلم قيادة نفسه وقلبه
وعقله وكله إلى ربه الذي خلقه فسواه، ويعلم ما يصلحه وما
يفسده، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤)
(الملك).

وفي الحج نتعلم هذا الدرس، درس التسليم لله تعالى، فهذا
حجر يرمى عند الجمرات، وهناك بالكعبة حجر يُقبل، سبحانه

الله تعالى!!

إن أوامر الله تعالى ليست موضعاً للمناقشة، والإنسان حيث يضع نفسه، فإذا وضع الإنسان نفسه في موضع مناقشة الأمر الإلهي فقد تخلى عن الإيمان لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

إن بعض الناس يحلو له التعامل على الله، وهذا التعامل يخرجهم عن دائرة الإيمان، ولو كان الأمر صادرًا عن بشر، لجاز للأراء أن تتحاور وتتجادل، أما إذا كان الأمر من الله فإن الاعتراض على الأمر الإلهي لون من التبجح، يُخرج الإنسان عن دائرة الإيمان بالله تعالى.

فما بالنا بالذين يناقشون حدود الله تعالى من أهل الإيمان؟ إن أمرهم حقًا لعجيب! أوامر الله لا تناقش؛ فهو القاهر فوق عباده، المتصف بكل كمال، إنه فوق كل شيء، إنه العليم، ونحن بشر والنقص من صفاتنا.

أما أهل الإيمان فشأنهم المسارعة بالاستجابة إلى أمر الله تعالى؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤). اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب، فقالوا: أى رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطبق: الصلاة والجهاد والصيام والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها. قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير».

فلما اقترأها القوم وذلت ^(١) بها ألسنتهم، أنزل الله ﻋَﻠَﻴْﻚَ في إثرها قوله: ﴿إِنَّمَا آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ

(١) أى: فلما قرأها القوم سهلت على ألسنتهم واستسلموا لها.

رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾
(البقرة).

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى^(١)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَعَلَيْكَ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: نعم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: نعم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال: نعم: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَأَعِزَّنَا﴾ وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾
(البقرة). قال: نعم^(٢).

قد تضعف النفس فلا تقوى على طاعة أمر الله تعالى، وبحسب الإنسان ساعتها أن يعترف بالنقص والخطأ، ويسأل الله العافية من هذا البلاء الذى حل به، وكما يقول الرسول

(١) أكثر المفسرين من الصحابة ومن بعدهم على ما تقدم فيها من النسخ.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، رقم/ ١٧٩.

الكريم ﷺ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»^(١).
أما أن يُخضع الإنسان أمر الله العلى لعقله المحدود ولهوى
نفسه، أو تأخذه العزة بالإثم.. فهذا هو الهلاك بعينه؛ يقول الله
تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ
وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة).

وعن أبي مسلم أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله،
فقال: «كل يمينك» قال: لا أستطيع. قال ﷺ: «لا استطعت؛ ما
منعه إلا الكبر»^(٢) فما رفعها إلى فيه.

أمة الإسلام جعلها الله في المقدمة أمام الأمم، جعلها خير
أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وعلمنا الإسلام رعاية الغير (الآخر) والحرص عليه
وبخاصة إذا كان أخاً مسلماً طائعاً، وهناك آيات من القرآن تحثنا

(١) سنن الترمذى، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب خير الخطائين
التوابين، رقم / ٢٦٧٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، رقم / ٥٣٨٧.

على خُلُق الإيثار والإحسان إلى الغير، ولين الجانب والرفق
ومنع الأذى.

والنبي ﷺ ينادى في الأمة في حجة الوداع أثناء تحركه
بالصحابه ﷺ قائلاً: «أيها الناس: السكينة السكينة...»^(١). أى:
الزموا السكينة لأنكم في عبادة.

والحمد لله فقد وفق الله القائمين على خدمة الحرمين
ومناسك الحج - جزاهم الله خيراً - على تطوير منطقة رمى
الجمرات بصورة تسمح بالتيسير على الحجاج ونظمت الحجاج
بمنى إلى أفواج موزعة على الساعات داخل اليوم وعلى الحاج
أن يتعاون مع الجهاز السعودي المشرف على توجيه الناس
وذلك بالاستجابة إلى الالتزام بالمسارات المحددة ذهاباً وإياباً
من المخيم بمنى إلى الرمى ومن الرمى إلى المخيم.
وعدم افتراش الأرض وتعطيل المارة وخط السير وعدم

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة الوداع، رقم/٣٠٠٩.

التدافع أمام حوض الرمى.

ولا يرتكب فعل الجهلة الذين يرمون بالحذاء ويتلفظون
بكلمات السب والشتم بالأم والأب لإبليس عند الرمى
والالتزام بهدى السنة المطهرة عند الرمى هو الذى يحقق لنا
العبادة الصحيحة التى يرجى لها القبول عند الله تعالى.

ومما يستحق التنبيه على خطورته حديث الناس فى منى،
حيث يدور - فى الأعم الأغلب - حول لغو الحديث وباطل
الكلام، إن هذه الصورة تؤكد لنا أن وعى الأمة مفقود، وأن
العبادة فى مفهوم كثير من الناس تحولت إلى حركات بالجسد لا
يواكبهما ما أوصى به النبى ﷺ من خلق حسن وإحسان وإيثار.
إن العبادات تبنى الإنسان بناءً إيمانيًا، ليكون الإنسان عبدًا
لله تعالى، ويتحرر من كل ألوان العبودية الأخرى، العبودية
للسهرة أو المال أو المنصب.. وغيرها من زخارف الدنيا التى
تغتالنا يومًا بعد يوم.

اللهم رُدَّنَا جميعًا إلى الحق والصواب.

أيضاً ينبغي التأسي برسول الله ﷺ في الأخذ بالأيسر للتيسير
على الناس وتفادي الضرر.

* فقد أخرج البخارى فى صحيحه أن عائشة - رضى الله
عنها - قالت: «ما خيّر النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما
لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه»^(١).

• مسجد الخيف:

يقع بمبنى جنوباً، وفى مكانه موضع الخيمة التى أقيمت
للنبي ﷺ فى حجة الوداع، حيث صلى فى هذه الخيمة الأوقات
الخمسة من ظهر يوم التروية إلى فجر يوم عرفة، وورد أنه صلى
فيه سبعون نبياً منهم سيدنا موسى عليه السلام.

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال:
«كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الشنية، وله جوار إلى الله

(١) صحيح البخارى، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم/ ٣٣٦٧.

بالتلبية»^(١).

* وعن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً، منهم موسى ﷺ، كأنى أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان، وهو محرم على بعير من أزد شنوءة، مخطوم بخطام ليف، له ضفيرتان»^(٢).

فسل الله أن ييسر لك الصلاة فيه والدعاء والذكر.

• انظر صورة مسجد الخيف رقم (١٥) بملحق الصور.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم/ ٤٣٨.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني، من اسمه محمد، رقم/ ٥٤٠٧.



مسجد الخيف

تم بحمد الله تعالى..



دار الأمل

الناشر:

العنوان: ٨ شارع عبد العزيز حامد - أول فيصل - جيزه

٧٨٠٩٧٦٧ - ٥٨٦٠٨٩٢

تليفون:

٢٠٠٥ / ٩٧٤٢

رقم الايداع:

977-343-052-9

الترقيم الدولى

أرمس

كمبيوتر:

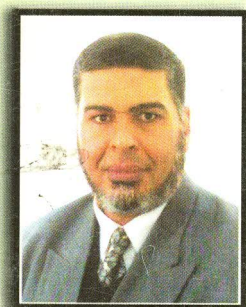
٧٩٦٤٤٠٤

تليفون:

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

الطبعة الأولى:

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناسر



هذا الكتاب

البقاع الشريفة بمكة والمدينة .. أماكن تهفو لمرآها النفس
ويرتاح لزيارتها القلب حيث يسبح فى دروبها الخيال .. على
صخرها و رملها خطا خير البشر ومشى وجاهد حاملاً
كتاب الله بالهدى ودين الحق.

فى تلك البقاع الشريفة انطلق النور من كل ثنية من ثنيات
الوداع وفاح الطيب من تحت كل حصاه.

ففى مكة البيت المعمور وجبال النور وبئر زمزم ذلك المعين
الذى لا ينضب خيره ولا ينقطع فيضه بإذن الله.

وفى المدينة حكايات النصر بيدر ومثوى الأحبة بالبقيع
وقبر خير البشر وصحبة الكرام ورضوان الله عليهم.

البقاع الشريفة بمكة والمدينة أماكن يعمها النور وشفاء
لما فى الصدور.

